

الدعوة المتجلية

مسرحية لم تنشر من قبل



علي أحمد باكثير

[في بيت الفضيل بن عياض
وعنده سفيان بن عيينة
يدخل عليهما عبد الله بن المبارك]

- ابن المبارك : السلام عليك يا ابن عياض .
الفضيل : وعليك السلام ورحمة الله . زيارة غير متظرة . أهلا بك يا ابن المبارك
ابن المبارك : الحمد لله إذ وجدتك .
الفضيل : خيرا يا ابن المبارك إن شاء الله .
ابن المبارك : أنت هنا يا ابن عيينة . الحمد لله . لقد كنت أريد أن أمر على بيتك .
الفضيل : أدركه المطر في الطريق فألجأه إلى بيتي .
ابن عيينة : وحسبني فيه . أما أنت يا ابن المبارك فكأنك لم تبال بالمطر فرحت تتجول في الشوارع حتى ابتلت ثيابك .
الفضيل : ابن المبارك لا يفوته شيء يا ابن عيينة . هذا غيث الرحمة أنزله الله بعد ما هلك الناس .
ابن عيينة : صدقت . كان ينبغي لنا أن نتعرض لهذا الغيث كما فعل ابن المبارك .
الفضيل : إني أراك ترتجف يا ابن المبارك . هل أتيتك بثياب من عندي حتى تجف ثيابك ؟
ابن المبارك : كلا لا حاجة بي إلى ذلك . إني لا أشعر بأي برد .
الفضيل : لكنك ترتجف .
ابن المبارك : ليس من البرد أرتجف بل من شيء آخر .
ابن عيينة : من أي شيء ؟
ابن المبارك : من شيء عظيم يا أخوتي . رأيت اليوم أمرا عجيبا لم أر مثله في حياتي قط .
الفضيل : خيرا يا ابن المبارك إن شاء الله . حدثنا ماذا رأيت ؟
ابن المبارك : شهدت صلاة الاستسقاء اليوم في المسجد الحرام ؟
الفضيل : نعم كنا هناك أنا وسفيان والتمسناك فلم نرك .
ابن المبارك : وانصرفتما حين انصرف الناس ؟
الفضيل : أجل
ابن عيينة : ما انصرفنا إلا بعد ما أجمعوا أن يعاودوا الاستسقاء من الغد .
ابن المبارك : فهل رأيتما أي أثر للمطر إذ ذاك ؟
ابن عيينة : ولا قرعة سحاب .

- ابن المبارك : فهل توقع أحد أن ينزل اليوم أي غيث؟
الفضيل : لا . ولكن رحمة الله قريب في كل حين .
- ابن عيينة : وقد شاء الله أن يستجيب لهم بعد ما انصرفوا من صلاتهم ودعائهم .
- ابن المبارك : أجل . كنت أقول هذا الذي قلتاه الآن لو لم أشهد ما شهدت .
- اللائقان : ماذا شهدت يا ابن المبارك . حدثنا بالله عليك .
- ابن المبارك : واحسرتاه يا أخوتي .
- ابن عيينة : ويحك علام تتحسر؟
- ابن المبارك : حريّ بكما أن تتحسرا مثلي .
- الفضيل : هذا مقام الحمد يا ابن المبارك . حريّ بنا أن نحمد الله على ما أنعم .
- ابن عيينة : ألم يثلج صدرك أن الله أغاث المسلمين؟
- ابن المبارك : بلى يا ابن عيينة ولكننا سبقنا .
- الفضيل : سبقنا إلى من يا ابن المبارك؟
- ابن عيينة : أفصح .
- ابن المبارك : سبقنا إلى الله يا أخوتي
- ابن عيينة : إلى الله؟
- ابن المبارك : أجل سبقنا إليه غيرنا فتولاه دوننا .
- الفضيل : بالله عليك يا أخي إلا ما أفصحت .
- ابن عيينة : فكفيتنا هذه الحيرة .
- ابن المبارك : كنت منصرفا مع المنصرفين من الناس مما يلي باب بني شيبه إذ لمحت غلاما أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر بإحدهما وألقى الأخرى على عاتقه فكأنما علقت به عيني فلم أستطع أن أصرفها عنه .
- الفضيل : هات يا ابن المبارك أتمم .
- ابن المبارك : رأيته ينسل من بين صفوف الناس ميمما نحو الكعبة ، فتبعته لا أدري لماذا تبعته فوجدته يطوف مع الطائفين فأخذت أطوف معهم وأنا أراه أمامي ثم انتقل إلى أحد الأروقة فانتبه له مكانا خفيا فوقف فيه وأخذ يرفع يديه كأنه يدعو الله ، فقلت لأعرفن سر هذا الغلام . فمشيت على أطراف أصابعي حتى وقفت خلفه دون أن يشعر بي فقد كان مستغرقا في دعائه وابتهاله فسمعته يقول :
- الغلام (ميمون) : إلهي ما كنت لأدعوك لولا رقة غلبتني على عبادك هؤلاء الذين خرجوا اليوم يستسقونك بالسستهم وهم يحملون في قلوبهم ما من أجله منعنا غيث السماء . اللهم إن اغترارهم بحلمك ورجاءهم في رحمتك قد أنسيهم الخوف من غضبك وعذابك . اللهم فاجعل ذلك لهم لا عليهم يا واسع الرحمة يا غنيا عن العالمين . يا إلهي إني ما دعوتك لنفسي يوما إلا استجبت لي فضلا منك وكرما وهأنذا أدعوك اليوم لعبادك هؤلاء من أمة نبيك وحبيبك محمد ﷺ فإن لم تستجب لي خشيت على نفسي الاغترار بأنك اصطفتني وحدي عبدا لك من دونهم أجمعين . إلهي يا حليما ذا أناة يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل إن كنت تجني كما أحبك فاسقهم الساعة . الساعة . الساعة .
- ابن المبارك : فلم يزل يردد الساعة الساعة حتى تجلت السماء بالغمام
- الفضيل : (هاتفا) الله أكبر . الله أكبر . طوبى لذلك الغلام . طوبى لذلك الغلام .
- ابن المبارك : ثم لمع البرق وجلجل الرعد ثم انهمر الغيث شأبيب في كل مكان .
- ابن عيينة : أجل كنا ساعثن في الطريق إلى بيوتنا .
- الفضيل : ثم ماذا صنع الغلام يا ابن المبارك؟
- ابن المبارك : جلس مكانه يسبح فما ملكت دمعي فأخذت أبكي . فكأنما سمع نسيجي فالتفت فرآني فانتفض مدعورا كأنما لسعته عقرب ثم انطلق يعدو حتى خرج من المسجد .
- الفضيل : وملك أتركته يغلت منك؟
- ابن المبارك : كلا . فقد نهضت خلفه وتبعته أينما سار فكنت أحب إذا خب واثند إذا تأد . وأنا أجتهد طول الوقت ألا يشعر بمكاني فما زال يدخل بي في زقاق ويخرج بي من زقاق حتى انتهى إلى دار كبيرة فانسرب في بابها المفتوح وهممت أن أدخل وراءه ولكني لم أفعل إذ تبين لي أن تلك الدار هي دار التاجر الكبير عبد المولى المدني وقلت لنفسك يكفيك أني عرفت موضعه وكررت راجعا حتى جئت إليكما الساعة .
- الفضيل : أحسنت إذ أتيتنا يا ابن المبارك فلا ينبغي لمثل هذا الخير أن يفوتنا .
- ابن المبارك : قلت أخبركما وأستشيركما في أمره .
- ابن عيينة : أقلت إنه غلام أسود؟
- ابن المبارك : أجل لكنه جميل الخلقة مديد القامة ولولا الخيش الذي عليه لحسبته أميرا من أمراء الحبشة .
- الفضيل : ويحك يا ابن المبارك قم بنا نذهب إليه .
- ابن المبارك : الآن؟
- الفضيل : نعم ! خير البر عاجله .

ابن المبارك : كلا يا ابن عياض ليس هذا بالوقت الملائم ولا يصح أن نذهب نحن الثلاثة إليه فنرّوَع الغلام ونطمع سيده فينا .
ابن عيينة : أجل هذا هو الرأي يا ابن عياض .
ابن المبارك : غدا سأذهب إلى دار المدني وأسأله عن غلامه هذا فانتظراني هنا بعد صلاة العصر فإني أرجو ألا أعود إليكما إلا به .

- ٢ -

«في دار الشيخ عبد المولى المدني»

المدني : من ؟ عبد الله بن المبارك في دارنا . مرحبا بك يا أبا عبد الرحمن . . أهلا وسهلا :
ابن المبارك : إني جئت إليك اليوم يا عبد المولى في حاجة .
المدني : حاجتك مقضية يا أبا عبد الرحمن .
ابن المبارك : أحتاج إلى غلام أسود .
المدني : عندي عدة منهم فاختر أيهم شئت .
ابن المبارك : دعني أراهم لأختار من بينهم .
المدني : بل سأختار لك أفضلهم . (ينادي) يا قوت . تعال يا قوت .
ياقوت : لبيك يا مولاي .
المدني : انظر : هذا غلام جلد محمود العاقبة أرضاه لك .
ابن المبارك : لكنه ليس بحاجتي .
المدني : كأنك تريد غلاما معيناً قد رأيته من قبل ؟
ابن المبارك : نعم .
المدني : صفه لي .
ابن المبارك : مديد القامة ، ليس بأفطس ، عليه قطعنا خيش .
المدني : هذا ميمون . أين رأيته يا أبا عبد الرحمن ؟
ابن المبارك : في المسجد الحرام أمس .
المدني : عند صلاة الاستسقاء ؟
ابن المبارك : نعم .
المدني : أجل . هذا غلام صالح لا يصلي إلا في المسجد الحرام ، ولكن ماذا تصنع به إنه لا يصلح لشيء .
ابن المبارك : لكني لا أريد غيره . ادعه لأراه حتى أتأكد أنه هو .
المدني : (ينادي) ميمون . تعال يا ميمون .
ميمون : لبيك يا مولاي (يدخل)
المدني : هذا هو ؟
ابن المبارك : (بصوت خافت) نعم هو بعينه . أصرفه الآن .
المدني : اذهب الآن يا ميمون .
ابن المبارك : بكم تبيعه لي ؟
المدني : كلا . هذا لا سبيل إلى بيعه يا أبا عبد الرحمن .
ابن المبارك : ولم يا عبد المولى ؟
المدني : قد تبركت بموضعه من هذه الدار .
ابن المبارك : فدعني أيضا أتبرك بموضعه من داري .
المدني : إن كان فيه بركة حقاً فأنا أحوج إليها منك .
ابن المبارك : بل أنا والفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة أحوج إلى وجوده بيننا منك .
المدني : تريدونه أنتم الثلاثة ؟
ابن المبارك : نعم . . الفضيل وسفيان أرسلاني إليك لأشتريه منك .
المدني : إنكم من وجوه أهل العلم والصلاح في هذا البلد ، فلا يصح لي أن أبيعه لكم حتى أخبركم بما فيه من عيب .
ابن المبارك : لا بأس . نحن لا نريد منه أية خدمة أو منفعة .
المدني : بل عيب آخر يعينكم أمره أكثر مما يعني غيركم .
ابن المبارك : ماذا تعني ؟
المدني : إنه على صلاحه هذا شهواني لا يؤتمن على الحرم .
ابن المبارك : معاذ الله يا عبد المولى . لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً . لعلك إنما قلت ذلك لتصرفنا عنه .
المدني : لا والله يا ابن المبارك . إن شئت دعوت لك الجارية السوداء التي دأب حيناً يراودها عن نفسها حتى شكته إلي .
ابن المبارك : هذا كلام عظيم يا عبد المولى ، لا يمكن أن أصدقك أبداً فيه . لا بد أنها افترت عليه .

المدني : لكنه اعترف بذنبه لما كلمته ، وطلب مني أن أسامحه .
ابن المبارك : لابد أن في الأمر سرًا يا عبد المولى . أما أنا فإني لا أصدق أبدا أن شيئا كهذا يمكن أن يصدر منه .
المدني : قد ذكرت لك ما فيه من عيب ، فإن كنت راغبا فيه بعد فخذ مباركك لك فيه .
ابن المبارك : جزاك الله خيرا فكم تريد فيه ؟
المدني : خذه بالثمن الذي اشتريته به . عشرين دينارا .
ابن المبارك : قد قبلت .

- ٣ -

«ابن المبارك وميمون وهما يمشيان في الطريق»

ابن المبارك : والله يا ميمون ما فرحت في حياتي قط فرحي بك اليوم .
ميمون : لا تعجل بالثناء يا مولاي حتى تبلوني .
ابن المبارك : لا تدعني يا مولاي فلست بمولاك وإنما أنا أخوك .
ميمون : يا سيدي إنك اشتريتني فأنت مولاي .
ابن المبارك : فادعني يا سيدي إن شئت .
ميمون : يا سيدي عندي سؤال لك .
ابن المبارك : لبيك يا حبيبي هات ما عندك .
ميمون : إنك تخرجني يا سيدي . لا تقل لي لبيك فالعبد أولى أن يلبي من سيده .
ابن المبارك : أنت أخي يا ميمون ولست بعبي ، فقل لي ما سؤالك .
ميمون : ما حملك على شرائي وأنا ضعيف البدن كما ترى لا أطيع الخدمة وقد كان لك في غيري سعة .
ابن المبارك : لا يراني الله أستخدمك أبدا يا ميمون ، ولكني سأشتري لك منزلا وأزوجك وأخدمك أنا بنفسني .
ميمون : (يبكى) لا حول ولا قوة إلا بالله . لا حول ولا قوة إلا بالله .
ابن المبارك : ويحك يا أخي ماذا يبكيك ؟
ميمون : أنت لم تفعل هذا إلا وقد عرفت سري وإلا فلم اخترتني من بين أولئك الغلمان ؟
ابن المبارك : ويحك ليس فيما عرفت عنك ما يدعوك إلى البكاء يا ميمون .
ميمون : سألتك بالله إلا ما أخبرتني ماذا عرفت عني ؟
ابن المبارك : عرفت أنك مجاب الدعوة .
ميمون : سمعت دعائي أمس في المسجد الحرام ؟
ابن المبارك : نعم .
ميمون : يغفر الله لك . ما كان لك أن تسترق السمع إلى ما بيني وبين مولاي .
ابن المبارك : ويحك تلك نفحة من نفحات الله فلم تريد أن تحرمنيها ؟
ميمون : لعلك قد ظننت أن الله إنما أنزل الغيث استجابة لدعائي ؟
ابن المبارك : إني ما ظننت ظنا بل أيقنت .
ميمون : اسمع يا سيدي . إني أحسبك رجلا صالحا . إن الله عز وجل خيرة من خلقه لا يكشف شأنهم إلا لمن أحب من عباده ولا يظهر عليهم إلا من قد ارتضى .
ابن المبارك : بشرتني يا ميمون . بشرك الله بالخير .
ميمون : إلى أين يا سيدي أنت ماض بي الآن ؟
ابن المبارك : إلى منزل فضيل بن عياض فهو يحب أن يراك .
ميمون : فضيل بن عياض يحب أن يراني ؟
ابن المبارك : وسفيان بن عيينة كذلك .
ميمون : أطلعتهما أنت على سري ؟
ابن المبارك : بل أخبرتهما بسر الله فيك .
ميمون : سامحك الله . هل لك يا سيدي أن تدخل بنا المسجد أولا ، فقد بقيت علي ركعتان من البارحة ؟
ابن المبارك : إن الفضيل وسفيان ينتظراننا الآن فلو ذهبنا إليهما أولا ثم توجهنا جميعا إلى المسجد لصلاة المغرب ؟
ميمون : لا يا سيدي . . أمر الله لا يؤخر . وهو في المسجد أفضل .
ابن المبارك : ذاك الغرض يا ميمون . أما النفل ففي البيت أفضل .
ميمون : ومن قال لك إنه نفل ؟ إنه يا سيدي الغرض الذي لا فرض بعده .
ابن المبارك : لا فرض بعده ؟ ماذا تعني يا ميمون ؟
ميمون : أعني يا سيدي لا فرض يعلو عليه .

ابن المبارك : كما تشاء يا ميمون . هلم بنا إلى المسجد . تعال ندخل من باب الباعة فهو أقرب .

- ٤ -

«في المسجد الحرام»

ابن المبارك : انتهيت يا ميمون من ركعاتك؟

ميمون : الحمد لله .

ابن المبارك : ألا نقوم الآن إلى دار الفضيل فإنه ينتظرنا؟

ميمون : يا سيدي ينتظرني هنا أمر أكبر من لقاء الفضيل .

ابن المبارك : ويحك ماذا تعني؟

ميمون : هل لك أن تحتسب العشرين ديناراً التي دفعتها ثمناً لي؟

ابن المبارك : تعني أنك تريد مني أن أعتقك؟

ميمون : كلا يا سيدي فسيعتقني الله عنك .

ابن المبارك : ويحك . إياك أن تعني . .

ميمون : الانصراف يا سيدي . . الانصراف .

ابن المبارك : إلى أين؟

ميمون : إلى الآخرة .

ابن المبارك : متى؟

ميمون : الساعة .

ابن المبارك : كلا لا تفعل يا ميمون . دعني أسمر قليلاً بك ، وأستمد من نورك ، وأنل من بركتك .

ميمون : لا مناص يا سيدي من ذلك . فما عدت أحتمل هذه الحياة .

ابن المبارك : فيم يا ميمون؟

ميمون : إنما كانت تطيب الحياة لي حيث كانت المعاملة بيني وبينه تعالى ، فأما إذا اطلعت عليها أنت وصاحبك فسيطلع عليها غيركم . فلا حاجة لي في ذلك .

ابن المبارك : لكنني أريد أن أنتفع منك بشيء قبل أن تنصرف إلى الآخرة .

ميمون : ماذا تريد مني؟

ابن المبارك : أن تخبرني عن الطريق الذي سلكته إلى الله حتى وصلت إلى ما وصلت إليه .

ميمون : وتسامحني في العشرين ديناراً وتحتسبها عند الله؟

ابن المبارك : لو احتسبت كل ما أملك لكان ذلك قليلاً في جنب هذا المطلب العظيم

ميمون : فاستمع إذن إلى قصة حياتي فستجد فيها ما تريد . كان أبي من كبار تجار البصرة . تسرى جارية له حبشية فولدتني له ومنها أخذت سواد اللون .

ابن المبارك : كأنك كنت حراً في الأصل؟

ميمون : ومن أسرة ذات غنى وجاه .

ابن المبارك : فهل خطفك للصوص وأنت صغير فاسترقوك وباعوك؟

ميمون : كلا . ما خطفني ولا استرقني ولا باعني أحد . ولكنني خطفت نفسي وأنا شاب في العشرين واسترققت نفسي ثم بيعت نفسي .

ابن المبارك : كيف يا ميمون؟

ميمون : غادرت البصرة دون أن يعلم أبي أو أحد من أهلي ولحقت بمكة فاتفقت مع رجل من أهلها ، فزعم أنني عبد وباعني لعبد المولى المسدي الذي

اشترى مني منه .

ابن المبارك : وما حملك على ذلك ويحك؟

ميمون : الرغبة في الوصول إلى الله .

ابن المبارك : بأن جعلت نفسك عبداً وأنت حر؟

ميمون : أجل . لأفهر نفسي وأذيقها المذلة والهوان ولا أعابأ بأي شيء في الدنيا وأكون من الثلاثة الذين يدخلون الجنة أول الناس كما جاء في الحديث

الشريف الذي رواه أبو هريرة .

ابن المبارك : الشهيد وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه ، وفقير متعفف ذو عيال .

ميمون : أجل . سمعت هذا الحديث وأنا في البصرة فقلت لنفسي لأكونن العبد المملوك الذي لا يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه .

ابن المبارك : أهذا كل ما هناك يا ميمون؟

ميمون : كلا . كان هذا بداية الطريق وقد أتاح لي ألواناً من المتاعب والمشاق وصنوفاً من المحن كابدتها صابراً محتسباً غير متبرم ولا متصحر . أحمد الله

عليها كما يحمده غيري على النعمة والعافية . فالغلمان الذين عند سيدي كانوا يسخرون من حرصي على صلاة الجمعة في المسجد الحرام

ويحرضون السيد على منعي من ذلك حتى لا يتعطل عملي فيما يزعمون .

ابن المبارك : فهل استجاب لهم السيد؟

ميمون : نعم استجاب في أول الأمر، فمعني ولكنني لم أمتنع فضربني بالسياط فلم أبال بالضرب حتى ضاق بي ذرعا فتركني وقال لي : لن أطعمك بعد اليوم فأكسب قوتك بنفسك . فصرت أعمل في قتل الشريط وأبيعه فأكسب منه دائماً أو نصف دائق أو أقل أو أكثر، فهو قوتي إن بعث وإلا طويت ذلك اليوم .

ابن المبارك : لكنني وجدته يحبك ويعزك ويتبرك بموضعك من داره .

ميمون : هذا بعد ما اتفقت معه على ألا أُرْزَأه شيئاً وبعد ما استطعت أن أصلح من غلمانته ، فأصبحوا لا يتعاركون فيما بينهم ولا يسرقون من ماله ولا يلعبون القمار ولا يسكرون ولا يتعرضون للجواري اللاتي عنده .

ابن المبارك : وكيف استطعت أن تصلحهم وهم كانوا ضدك؟

ميمون : بالصبر والتضحية وإنكار الذات واحتمال المكاره والصفح والمسامحة وطلاقة الوجه والبشاشة .

ابن المبارك : كان هذا شأنك مع غلمانته فكيف كان شأنك مع جواريه؟

ميمون : لأبد أن عبد المولى حدثك عن مروءتي لجاريته زيتونة؟

ابن المبارك : أجل ، فلم استطع أن أصدق كلامه .

ميمون : كانت محتني بتلك الجارية مفتاح الصلة بيني وبين الله ، ذل لي بعدها كل صعب وانكشف لي بعدها كل حجاب .

ابن المبارك : كيف يا ميمون؟ حدثني إذن عن هذه المحنة بالتفصيل ولا تجمل .

زيتونة : هانحن أولاء وحدنا يا ميمون فماذا تنتظر؟

ميمون : كلا . لسنا وحدنا يا زيتونة .

زيتونة : أتخشى أن يدخل علينا أحد؟ هذه حجرتي وهي لي خاصة ونحن في نصف الليل والجميع نيام يغطون .

ميمون : أنا أعني ذاك الذي لا ينام يا زيتونة .

زيتونة : الله عز وجل؟

ميمون : نعم .

زيتونة : هذا معنا في كل مكان ولا سبيل إلى الاستئثار منه فعليه أن يغفر لنا هذه المرة الواحدة .

ميمون : إني أخجل منه يا زيتونة ، ولا سبيل إلى هذا الأمر مع الخجل .

زيتونة : ويلك علام الخجل؟ ألسنت رجلا؟ ألا تراني امرأة جميلة؟ انظر .

ميمون : استري نفسك يا زيتونة واعلمي أنني لن آتي الحرام أبداً ، ولو قطعني شلوا شلوا .

زيتونة : لو كنت تريد الحلال لطلبتي من سيدي فزوجني لك .

ميمون : قلت لك مراراً يا زيتونة إني لا أستطيع أن أتزوج .

زيتونة : ويلك يا هذا ، لقد أذللتني وأهنتني ، فوالله لئن لم تستجب لي الآن لأقولن لسيدي أنك راودتني عن نفسي .

ميمون : افعلي ما شئت يا زيتونة . يغفر الله لك .

ميمون : أجل هذا بعض ما وقع يا سيدي من زيتونة .

ابن المبارك : ولكن لماذا اعترفت على نفسك ولم تكذب الجارية؟

ميمون : لأصون سمعتها . عسى أن تهتدي في النهاية .

ابن المبارك : تصون سمعتها وتلوث سمعتك؟

ميمون : أردت بذلك وجه الله يا سيدي فكان مفتاح القرب منه والوصول إليه . دعني الآن يا سيدي أمضي لما أنا ماض إليه .

- ٥ -

(في دار الفضيل)

الفضيل : ولم تراجع يا ابن المبارك في ذلك؟

ابن المبارك : استحييت أن أراجع مرة أخرى بعد الوعد الذي قطعته له .

ابن عيينة : لو كنت مكانك يا ابن المبارك لسويت له حديث رسول الله ﷺ « لا يتمنين أحدكم الموت فإن كان لابد فاعلا فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وأمتني إذا كان الموت خيراً لي » .

ابن المبارك : ويحك يا سفيان بن عيينة أو تظن هذا الذي كشف الله عنه الحجاب غافلاً عن المعنى الذي في حديث رسوله؟

الفضيل : ثم ماذا فعل بعد ذلك يا ابن المبارك؟

ابن المبارك : قام فصلى ركعتين خفيفتين كأنها صلاة الوداع ثم اضطجع على الأرض جاعلاً وجهه إلى الكعبة وهو يقول :

ميمون : إلهي كما كشفت اليوم سري للناس فاسترني بلقائك . إلهي إن كنت تحبني بعد كما أحبك فاقبضني إليك الساعة . الساعة . الساعة .

ابن المبارك : فدنوت منه وحركته فإذا هو قد مات .

الفضيل (وابن عيينة) : إنا لله وإنا إليه راجعون . إنا لله وإنا إليه راجعون .

دور الأدب الإسلامي المعاصر في الوحدة الإسلامية

د. عبد القدوس أبو صالح

● لماذا تحول الأدب سلاحاً لإفساد الأجيال وإشاعة
الانحلال؟!

● واكب الأدب الإسلامي الأحداث وساهم في فصح
مخططات الاستعمار

● التصور الإسلامي يقف خلف المضامين الإبداعية
للأدباء الإسلاميين

● الوحدة الإسلامية التي تتلاقى فيها الأرواح تجمع
شمل الشرق بما فيه من عرب وعجم

● المضمون الإسلامي في الوحدة المرتقبة يرسخ بنيانها
ويسمو به

يهدف هذا البحث إلى إظهار دور الأدب الإسلامي المعاصر في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، سواء في الدعوة السابقة إلى ما سمي بالجامعة الإسلامية، أو فيما تلاها من دعوات مماثلة من بعد سقوط الخلافة العثمانية إلى هذا اليوم. ومن ثم يهدف إظهار هذا الدور إلى توضيح ما ينبغي للأدب الإسلامي أن يقوم به، أو يستمر في أدائه، حين ينطلق أدباء الإسلام من تعريف واحد للأدب، مبني على تصور إسلامي صحيح، وحين يصدرون في سائر الفنون الأدبية عن منهج إسلامي لهذه الفنون، ليعبروا عن آلام الأمة الإسلامية وآمالها، وليصوغوا وجدان الأجيال صياغة إيمانية متكاملة، وليرفعوا مستوى الأمة إلى معركة المصير.



جمال الدين الأفغاني

والتوحيد(٣).

والتزام أدباء الإسلام بهذا التصور الإسلامي الواحد على اختلاف أجناسهم وشعوبهم ودولهم ولغاتهم يعني أن هذا التصور سوف يقف خلف كل مضمون فيما يدعون من فنون الأدب، دون أن يعني هذا الالتزام تضيق حرية الأديب الإسلامي، أو حصر تجربته الأدبية في أدب الدعوة الإسلامية وحدها، وإنما يكفي الأديب أن

لا يأتي في أدبه بما يضاد هذا التصور أو يصادمه، مع التأكيد بأن أدب الدعوة هو قمة الأدب الإسلامي وتاجه الذي يفاخر به الآداب العالمية كلها.

وهكذا ينطلق أدباء الإسلام من تصور عقدي واحد ومن منهج إسلامي واحد في سائر الفنون الأدبية، ليعملوا على تصحيح مسيرة الأدب في الشعوب الإسلامية جمعاء، وليحققوا الوحدة الأدبية قبل الوحدة السياسية، وفي هذا المجال يقول الأديب شكيب أرسلان(٤): «إن جمع الشمل السياسي لا يكون إلا بلم الشمل الاجتماعي وبث روح الوحدة الأدبية».

مواكبة تامة

وقد استطاعت الدولة العثمانية أن تضم إليها معظم أقطار العالم الإسلامي، وأن تقيم منها وحدة إسلامية تحت راية الخلافة، وغدت أقوى دولة في العالم، حتى ركزت رايته على أسوار فيينا بعد أن فتحت اليونان ودول أوروبا الشرقية كلها.

على أن الضعف ما لبث أن دب في دولة الخلافة شيئا بعد شيء، حتى إذا انتهت الحرب العالمية الأولى «تمخضت مع ما ترتب عليها، وتلاها من تقلبات عن أخطر ظاهرة في حياة الإسلام والمسلمين، فلمرة الأولى في حياتهم سقطت الخلافة بعد أن اتصلت حلقاتها ثلاثة عشر قرنا ونصف القرن، تنقل مركز الخلافة فيها بين عواصم البلاد الإسلامية المختلفة، ولكنه ظل في كل الأحوال رمزا للرابطة التي تجمع بين المسلمين في شتى بقاع الأرض... ثم إن الحرب العالمية الأولى قد كشفت عن وقوع البقية الباقية من بلاد المسلمين تحت سيطرة الدول الغربية، ولم يعد بين الدول الإسلامية دولة واحدة تملك أمر نفسها، أو تستطيع الاستقلال بشؤونها»(٥).

ولقد واكب الأدب الإسلامي في شعره ونثره هذه الأحداث كلها، ودعا إلى الجامعة الإسلامية دعما لراية الخلافة، ثم بكى هذه الخلافة عندما وندت، ومضى يفضح مخططات الاستعمار وتآمرا لتمييز العالم الإسلام واقتسامه، ويصف فظائع هذا الاستعمار وويلاته، ويدعو إلى مواجهته والثورة عليه، ويصف المعارك، ويرثي الشهداء، ويدعو الأمة إلى حشد طاقاتها وتوحيد صفوفها ليقتل أبناءها أمام الهجمات الاستعمارية الشرسة صفا واحدا كالبنيان المرصوص.

ومنذ أطلق السلطان عبد الحميد صيحته: «يا مسلمي العالم اتحدوا»(٦) رأينا الأدباء والشعراء الإسلاميين يتنافسون في ترديد صيحته، ويدعون إلى الجامعة الإسلامية دون كلل أو ملل كما يدعون إلى التمسك بالخلافة لأنها رمز الوحدة الإسلامية.

«فجريدة العروة الوثقى تكتب سنة ١٨٨٤م مجموعة من المقالات في الحث على اتحاد كلمة المسلمين، ويكتب جمال الدين الأفغاني مقالا فيها بعنوان «الوحدة الإسلامية» يقول فيه(٧): «لا جنسية للمسلمين إلا في دينهم، فتعدد الملكة عليهم (أي على المسلمين) كتعدد الرؤساء في قبيلة واحدة،

ينكر أحد تأثير الأدب في الحياة العامة للأمة، ولا دوره في قضاياها المصيرية... فيها هي ذي أمة الإسلام في نشأتها الأولى، تقيم وحدتها، وترسم مسيرتها، على هدي من مشكاة القرآن المعجز، وبلاغه الرسول ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم، وكان أفصح العرب وأخطب الخطباء. والرسول ﷺ هو الذي قرر دور الشعر وقدره حين اتخذ سلاحا في المعركة بين الإسلام وكفار قريش... ليمضي الشعر بعد ذلك مواكبا لمعارك الأمة الفاصلة، سواء في جهادها القديم ضد الفرس والروم والصليبيين، أو في جهادها المعاصر ضد الاستعمار الغربي الحديث، والخطر الصهيوني الخبيث.

وهنا هي ذي باكستان تقوم في شعر إقبال دعوة لتوحيد المسلمين ولإستقلالهم أمة متميزة، قبل أن تقوم في عالم الحقيقة والواقع، وبعد موت الشاعر بإحدى عشرة سنة: دولة إسلامية، نرجو لها أن تكون جديرة باسم باكستان «الدولة الطاهرة» كما أراد لها محمد إقبال.

فيذا التفتنا إلى الأمم الأخرى وتأثير الأدب في تاريخها ومصيرها، رأينا الثورة الفرنسية يمهّد لها بأدب فولتير وروسو، والشيوعية يمهّد لها بقصص تورجيف وتولستوي. ثم تؤثر في مسارها قصص جوركي أيما تأثير. ومن المسلم به أن الفلسفة الوجودية قد انتشرت بمسرحيات سارتر أكثر مما انتشرت بمؤلفاته الفلسفية المجردة.

والأدب اليوم - كما يقول الأستاذ محمد قطب(١) - «سلاح يستعمله أعداء الإسلام في إفساد الأجيال وإشاعة الانحلال». وما من مذهب فكري أو سياسي إلا استعمل الأدب لنشر آرائه وحشد الأتباع حوله، حتى كان من قول سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي(٢): «إن العالم اليوم يحكمه القلم، وتحكمه الكلمة».

والكتاب الفكري - وإن كان إسلاميا - فإن قراءه محدودو العدد، وهم أقرب إلى خاصة المثقفين. أما الشعر والقصة المسرحية والتمثيلية والمسلسلة المسموعة أو المرئية فلا يكاد جمهورها يحد، وهو جمهور متنوع من مختلف الطبقات والأعمار.

وإذا كان الكتاب الفكري يخاطب العقل، فيقع أو لا يقع، فإن الكتاب الأدبي من شعر أو قصة أو مسرحية، يؤثر في الوجدان تأثيرا خفيا لا يكاد يحس، ولكن هذا التأثير غير المباشر ما يزال يتغلغل في الوجدان حتى يتمكن منه شيئا بعد شيء، وحتى يؤثر في الفكر ويصوغ الشخصية صياغة خير أو شر.

وتقصير الدعاة إلى الإسلام في استغلال الأدب وفنونه، وسيلة للدعوة إلى الله جعل الساحة مفتوحة لأعداء الإسلام ولتجار الكلمة الرخيصة، يملئون بها الأدب المزور والأدب المنحل الذي يستهدف عقيدة الأمة وأخلاقها وتماسكها ووحدتها. ويتأى بها عن أن تكون كما أراد الله لها خير أمة أخرجت للناس.

وإذا كان للأدب بمفهومه العام ذلك التأثير... فما بالناس بدور الأدب بمفهومة الخاص وهو الأدب الذي ينطلق من عقيدة الأمة ووجدانها، ويؤكد ذاتيتها وتميزها ووحدتها... ويأبى أن يتطفل على موائد الأغيار تطفل الأثام على مائدة اللثام، كما يأبى أن يكون أدب القروء المقلدين، وإن كان لا يغلق على نفسه المقاصير، ولا يأبى أن يعيش عصره، كما لا يأبى أن يستجدة الحكمة التي هي ضالة المؤمن. وهو أحق بها حيثما وجدها.

ولقد تبنت رابطة الأدب الإسلامي العالمية تعريف الأدب الإسلامي بأنه «التعبير الفني الهادف عن الإنسان والحياة والكون في حدود التصور الإسلامي».

وهذا الالتزام بالتصور الإسلامي يعني أن الأدب الإسلامي أدب ملتزم - كان هذا التصور من الرابطة والنبات والشمس والتوازن والإيجابية والواقعية

الخلافة والدعوة إلى الجامعة الإسلامية، وهو القائل في الحرب العثمانية اليونانية (١٦):

وزينبُ إن تاهتْ وإن هي فاخرتْ فما قومُها إلا العشيرُ المحبَّب
يؤلفُ إيلام الحوادث بيننا ويجمعنا في الله دين ومذهب
وهو يحثُ شعوب الخلافة العثمانية على الاتحاد والتناصر، فيقول في عدوان إيطاليا على طرابلس الغرب (١٧):

يا قومَ عُثمَانٍ والدنيا مداولة تعاونوا بينكم يا قومَ عثمَانا
كونوا الجدارَ الذي يقوى الجدار به فالله قد جعل الإسلام بنيانا
ولم يكن شاعر الإسلام أحمد محرم يقتل عن أمير الشعراء في الدعوة إلى تعزيز الجامعة الإسلامية، بل لعلنا لا تغالي إذا قلنا: إنه كان أصدق الشعراء لهجة في هذا المجال، وهو يقول عن الإيطاليين المعتدين (١٨):

غُـرُوا بِأَن البُعْدَ بين العرب والأتراك شاسع
وبأن بين قلوبنا صدعا من الأضغان واسع
يا ضلّة لم يعلموا أن الخلافة خير جامع
فلنبذلّ لها النفوس ودون حوزتها ندافع
ما الترك إلا مثل كف الباسل العاري الأشجاع
والعرب مثل أصابع لا كف إلا بالأصابع
ويقول فيمن يسعى إلى شق عصا الخلافة وتزيق وحدة الأمة (١٩):

ألا إن من شقّ العصا لُمُذَمَّم وإن الذي يبغي الفساد لآثم
ومن كان يأبى أن يوالي إمامه طواعية والآه والأنف راغم
سيعلم من خان الخليفة أنه مؤقع أمر، شره متفاقم
تباركت ربي كيف يعصيك مسلم فيوقع بالإسلام ما أنت عالم
تباركت إن المسلمين كما ترى تغاريق منها مستطير ورازم (٢٠)
ويهاجم الرصافي زمرة الانفصاليين الذين عقدوا مؤتمرا في باريس منادين باستقلال العرب عن دولة الخلافة، فيقول (٢١):

لو كان في غير باريز تأليبهم ما كنت أحسبهم قوما مناكيبا
لكن باريز ما زالت مطامعها تنزو إلى الشام تصعيدا وتصويبا
هل يأمن القوم أن يحتلّ ساحتهم جيش يدك من الشام الأهاضيا

جامعة إسلامية

ولما بدأت نذر الخلاف تشتد بين العرب والأتراك قبل انفصاح نوايا الأتراك الاتحاديين وسعيهم لإسقاط الخلافة قام عدد من الشعراء يحضون على الوثام، ويحذرون من الفقرة (٢٢)، ومن ذلك قول فؤاد الخطيب (٢٣):

أخواننا الأتراك مدوا لنا يدا من الود إنا قد مددنا لكم يدا
ألسنا بحمد الله شعبا موحدنا فما بالنا لم نرض شمالا موحدنا
خذوا لغة القرآن جامعة فإن فعلتم جمعتهم شمل أبناء أحمدنا
وكانت لكم في الشرق والغرب هبة تحرّ لكم شمل الممالك سجدا

ولم تكن الدعوة إلى الجامعة الإسلامية قصرا على الكتاب والشعراء العرب، بل أسهم فيها كثير من الأدباء في شتى الأقطار الإسلامية، ويكتفي أن نمثل لذلك بموقف شاعرين عظيمين، لقب كل منهما بشاعر الإسلام، أولهما الشاعر التركي محمد عاكف، وثانيهما الشاعر الهندي محمد إقبال. وكان كلاهما يعرّفان على قيّارة واحدة هي الوحدة الإسلامية. ويتغنيان بشيد واحد هو مجد الإسلام (٢٤).

"وكان مبدأ محمد عاكف العودة إلى مبادئ الإسلام الأولى حتى يستقيم حياتنا الاجتماعية والاقتصادية، وتوحيد صفوف المسلمين حتى يحاربوا الحروب الصليبية الحديثة" (٢٥). وكان في موقفه هذا متأثر بحمد الدين الأفغاني ومحمد عبده في دعوتيهما إلى الجامعة الإسلامية، وظاهر بوضوح هذا في تصديده للتيار الجارف الذي ظهر في تكوين الشخصية البركية الحديثة على أساس الجنس والعنصرية والتخلص من الارتباط بالعرب (٢٦).



محمد عبده



أحمد شوقي

والسلاطين في جنس واحد... (وقد) جلب تنازع الأمراء على المسلمين تفرق الكلمة وانشقاق العصا، فلهذا بأنفسهم عن تعرض الأجانب بالعدوان عليهم. ويتحدث أمير البيان شكيب أرسلان عن الجامعة الإسلامية مؤكدا أن قوة الأخوة، والرابطة بين المتحدين في العقيدة أمر طبيعي فيقول (٨): «وإن كان بين المسلمين أثر من الجامعة الإسلامية فليس من عجب في ذلك لسببين: أحدهما أن التضامن بين الضعفاء أمر بدهي لا يحتاج إلى برهان، حتى ولو لم ينتموا إلى عقيدة واحدة، فكيف إذا اتحدوا في عقيدة؟. الثاني: أن المسلمين من حيث المجموع يعتقدون بقرآنهم وشريعتهم، ويرون فيهما سعادتهم وراحة وجداناتهم، وفي القرآن الكريم، «إنما المؤمنون إخوة». فالمسلم يجد إخوانه للمسلم فرضا محتما عليه، ومؤازرته من باب الشرع الذي من ترك شيئا منه فهو آثم».

ويقول الزعيم المصري مصطفى كامل (٩): «وواجب المسلمين أن يلتفتوا أجمعين حول راية الخلافة الإسلامية المقدسة، وأن يعززوها بالأموال والأرواح، ففي حفظها حفظ كرامتهم وشرفهم وفي بقاء مجدها رفعتهم ورفعة العقيدة الإسلامية».

وهذا الموقف المجيد من الجامعة الإسلامية والخلافة العثمانية لدى كتاب العصر وقادة الفكر فيه يمكن أن نتبّع في الشعر فنجدّه في مثل هذا الوضوح (١٠). فقد كان معظم الشعراء الذين عاشوا تلك الفترة متعاطفين مع الدولة العثمانية. وكانوا يرون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، وأن الجامع لكلمة المسلمين الموحد لصفوفهم إنما هو الخليفة، وأن حروب الخليفة العثماني ليست إلا دفاعا عن الإسلام والمسلمين (١١).

ومع ما دجّه شكيب أرسلان من مقالات في الجامعة الإسلامية فإنه يقول في مقدمة ديوانه (١٢): «لي عدة قصائد، كنت أمدح بها السلطان عبدالحميد، ولم أكن أقدمها للحضرة السلطانية، وإنما كنت أنشرها في الجرائد تعظيما لمقام الخلافة، وتأيدا لوحدة الأمة».

ويقول في معرض حديثه عن مدائح شوقي (١٣): «وعاب بعضهم على شوقي، وربما عابونا على مدح الأمراء ومدح السلطان... والحقيقة أن شوقي عندما يرسل كلماته الخالدة في مديح السلطان الخليفة فإنما يقدم مقام الخلافة العزيز على المسلمين، الناظم لشملهم، القائم في وجه عدوهم».

وكان مما قاله شكيب أرسلان في قيام الجامعة الإسلامية على العقيدة، واستغلالها على أصرة الدم والجنس قوله (١٤):

كفى «الشهادة» فيما بيننا نسبا إن لم تكن جمعتنا وحدة النسب
وهو القائل في الحروب البلقانية، مؤكدا وحدة العرب والأتراك تحت راية الإسلام (١٥):

فمن مبلغ البلغار أنا إلى الوغى وإخواننا الأتراك نرحف توأما
وأن جميع العرب والترك إخوة عليهم اليهم يتبعون تقدما
وليس يزال العرب والترك أمة حفيّة بيضاء لن تتقسم
وكان أمير الشعراء أحمد شوقي من أكثر الشعراء إسهاما في الدفاع عن



محمد بن عبد الله

تركيا بحجة أنها دولة الخلافة، فجاء مصطفى كمال، وقطع هذه العلاقة بين تركيا والعالم الإسلامي، وزعم أنه لا يلوي على علاقة غير علاقة الترك خاصة، وأن سائر المسلمين والأجانب في نظره سواء. وهو أمر مخالف للحقيقة وللواقع والمصلحة.

ومضى شكيب أرسلان يقرّر (٣٢) «أنه لما سقطت الخلافة، وانصدعت الوحدة ساءت الحال، وتفرّق الشمل، وزالت الهيبة، وذللّ العرب. وبعد أن كان الناس لهم خدما صار العرب خدما للناس» ثم يقول أيضا (٣٣): «هذه هي الخلافة التي يقول بعض الناس اليوم: إنها لم تند الإسلام بشيء، بل يقولون: إنها كانت وبالا على المسلمين. وما كان وبالا على المسلمين إلا ابتلاؤهم بالشقاق والتقاطع. ولا سيما العرب الذين هم كما قال النعمان بن المنذر لكسرى: «تراهم كلهم ملوكا» وكل أمة يريد جميع أفرادها أن يكونوا ملوكا ينتهي أمرها بأن يملك أمرها الأجانب، ولا يبقى لها ملوك». ونشر الشيخ محمد شاكر مقالا في صحيفة المقطم يصور فيه خيبة الأمل في الكماليين الذين ظن الناس بهم خيرا حين حاربوا الخلفاء، ولكنهم أسقطوا الخلافة، ومضوا يحاولون قطع الصلات التي تربط تركيا بالإسلام والمسلمين، فهو يقول (٣٤): «رحم الله زمانا كنا نعطف فيه على هذه الفئة إبان تمردها على السلطنة العثمانية، وهي تجادل مجالدة الأبطال لطرده الأعداء من الأناضول، وزحزحة الخلفاء عن دار الخلافة. والله يشهد أن الذي حدا بنا إلى العطف على هؤلاء المتتمردين إنما هو الإشفاق على الخلافة العظمى أن تمتد إليها يد المهانة والاستدلال، وهي البقية الباقية من مجد الإسلام وعهد النبوة الأول، وهي العزاء الوحيد الذي كنا نتعزى به في نكبات الأيام وصروف الليالي. عجب أمر هؤلاء الذين تسلبوا في جنح الظلام إلى كهوف الأناضول، وظلوا يهتفون باسم الإسلام حتى حازوا فخر النصر، كيف ارتدوا على أديارهم يحاربون الإسلام بأسوأ أداة ملكتها أيديهم في أعز عزيز على العالم الإسلامي، وهو نظام الخلافة».

ويقول الدكتور محمد محمد حسين (٣٥): «من أعنف ما نشرته الصحف في هذه المناسبة ومن أقواه مقال لكتاب لم يصرح باسمه، نشرته صحيفة الأهرام في صفحتها الأولى تحت عنوان «يا غربة الإسلام في موطنه» وفيه يقول (٣٦): «ما استطاع أعداء الإسلام أشد ما كانوا به ائتمارا، وأعدى ما كانوا عليه عدوانا، وأصدق ما كانوا رغبة في الكيد له والنكاية فيه، أن يبلغوا منه ما بلغه هؤلاء الكماليون على مرأى ومسمع من المسلمين جميعا. . . فإقدام الكماليين على إلغاء الخلافة أكبر جريمة في عهد هذه الدولة على الدولة، وأشنع جريمة في تاريخ الإسلام على الإسلام» ولم يترك أحد من الشعراء الخلافة مثلما بكاهها أمير الشعراء أحمد شوقي، في قصيدة بالغة الروعة، تنبأ فيها بما سوف يكون بعد إلغاء الخلافة من فتن كقطع الليل (٣٧):

وَنُعَيْتَ بَيْنَ مَعَالِمِ الْأَفْرَاحِ
وَدَفَنْتَ عِنْدَ تَبْلُجِ الْإِصْبَاحِ
وَبَكَتْ عَلَيْكَ مَمَالِكُ وَنَوَاحِ
تَبْكِي عَلَيْكَ بِمَدْمَعِ سَحَابِ
أَمَحَا مِنَ الْأَرْضِ الْخِلَافَةَ مَاحِ
يَدْعُو إِلَى الْكُذَابِ أَوْ لِسَجَاحِ
فِيهَا يَبَاعُ الدِّينُ بَيْعَ سَمَاحِ
عَادَتْ أَغَانِي الْعُرْسِ رَجْعَ نَوَاحِ
كُفِّنَتْ فِي لَيْلِ الزَّفَافِ بِثَوْبِهِ
ضَجَّتْ عَلَيْكَ مَآذِنُ وَمَنَابِرِ
الْهِنْدِ وَالْهَيَّةِ وَمَصْرُ حَزِينَةِ
وَالشَّامِ تَسْأَلُ وَالْعِرَاقُ وَفَارِسِ
فَلْتَسْمَعْنَ بِكُلِّ أَرْضٍ دَاعِيَا
وَلْتَشْهَدَنَّ بِكُلِّ أَرْضٍ فِتْنَةً

وقد حاول محمد عاكف إثر هزيمة الخلافة في الحروب البلقانية أن يستنهض الأمة الإسلامية ويعيد الوحدة بين شعوبها، وبخاصة بين الأتراك والعرب، فقال (٢٧):

انهضي أيتها الأمة الثكلى فقد أصبح الصباح
أم تريدن أن تستعني إلى أصوات النواقيس؟ . . .

افتحي عينيك جيدا . . .

فلن يبقى هناك عربي ولا تركي . . .

لا حياة للتركي بدون العربي

فالعربي للتركي عنه التي يبصر بها

ويمينه التي يبطش بها

اتحدوا أيها المسلمون . . .

لا تنازعوا فتفسلوا . . .

ولا يبقى لكم دولة ولا دين . . .

ويقول في مهاجمة العنصرية العنصرية التي تمرق الأمة (٢٨):

هل كان للعربي فضل على التركي؟ . . .

أو للأظ فضل على الجركسي أو الكردي؟ . . .

هل كان للفارسي فضل على الصيني؟ . . .

ما هذا الذي أصابكم أيها المسلمون؟ . . .

هل ثمة عنصرية في الإسلام؟

والرسول ﷺ يلعن العنصرية

(إذ يقول: ليس منا من دعا إلى عصبية).

أما شاعر الباكستان، بل شاعر الإسلام الكبير محمد إقبال فإنه يعجب

لتفريق المسلمين وتأخرهم فيقول (٢٩):

أَلَمْ يُعِشْ لَأَتْكُمْ نَبِيٌّ يُوَحِّدُكُمْ عَلَى نَهْجِ الْوُثَامِ

وَمُصْحَفُكُمْ وَقَبْلُكُمْ جَمِيعًا مَنَارُ السَّالْحَةِ وَالسَّلَامِ

وَفُوقَ الْكُلِّ رَحْمَانٌ رَحِيمٌ إِلَهٌ وَاحِدٌ رَبُّ الْأَنَامِ

فَمَا لَنَهَارِ الْفِتْنَةِ تَوَلَّى وَأَمْسَيْتُمْ حَيَارَى فِي الظَّلَامِ

وهو يخاطب العرب الذين كان ينظر إليهم على أنهم واسطة العقد في

الوحدة الإسلامية فيقول (٣٠):

أَسَفًا عَلَى هَذَا الْخُمُودِ وَالْجُمُودِ أَيُّهَا الْعَرَبُ . . .

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى الْأُمَمِ الْأُخْرَى

كَيْفَ تَقَدَّمَتْ وَسَبَقَتْ؟ . . .

أَمَّا أَنْتُمْ فَمَا قَدَّرْتُمْ قَدْرَ هَذِهِ الصَّحْرَاءِ

الَّتِي نَشَأْتُمْ فَوْقَ رَمَالِهَا . . .

وَلَا هَذِهِ الْحُرِّيَّةُ الَّتِي وَرَّثْتُمُوهَا . . .

كُنْتُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً . . . هِيَ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ

فَصَرَّيْتُمْ الْيَوْمَ أَمَمًا . . .

وَكُنْتُمْ حِزْبًا وَاحِدًا . . . هُوَ حِزْبُ اللَّهِ

فَأَصْبَحْتُمْ أَحْزَابًا . . .

لَقَدْ فَرَّقْتُمْ جَمْعَكُمْ . . .

وَمَزَقْتُمْ شَمْلَكُمْ . . .

وَانْقَسَمْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ . . .

دوي هائل

ولما سقطت الخلافة كان لسقوطها دوي هائل في أنحاء العالم الإسلامي، ومضى الكتاب والشعراء يندبونونها مؤكدين أنها كانت الخيط الناظم لوحدة المسلمين الكبرى.

وكان مما قاله الأمير شكيب أرسلان (٣١): «كانت الخلافة أحسن علاقة جامعة بين المسلمين، وكان أربع مائة مليون مسلم في العالم يتولون حكومة

ورثي أبو الفضل الوليد الخلافة مبيتا ما أصاب المسلمين من أنواع البلاء والمحن بعد أن انفرط عقد الخلافة الجامعة، وتهدم حصنها المنيع، فقال (٣٨):

الشام يقهر والعراق يضام فاليوم لا عرب ولا إسلام
أين العروبة والخلافة منهما والمسلمون بلادهم أقسام
لبنى أمية أو بني العباس في تلك الربوع أمانة وذمام
ذهبت خلافتهم وضاع سريرها فبكي عليها منبر وحسام
إن الخلافة بان عنها ربها فالمؤمنون جميعهم أيتام
ويهجو محمد إقبال أولئك الذين مزقوا الخلافة فيقول (٣٩): «مزق الأتراك السخفاء من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي جلباب الخلافة، فما أغباهم، وما أدهى أعداءهم».

وهكذا تبدد شمل الخلافة الإسلامية، وتداعت دول الغرب الصليبي إلى أقطارها، كما يتداعى الأكلة إلى قصعة الطعام، وضاع المسلمون في تيه الجهل والضعف والفرقة، وذاقوا أنواع الذل والاستعباد، ومضوا يتلمسون النجاة بعيدا عن منهج الإسلام القويم، وتقاسمتهم المذاهب الهدامة فتفتك بهم فتكا ذريعا من قومية وعلمانية واشتراكية فوضوية وشيوعية هدامة.

وكان من جراء ذلك كله أن استشرى الخطر الصهيوني الذي كان السلطان عبد الحميد وقف أمامه من قبل وفقته المشهورة، وأقام اليهود دولتهم التي تأمر المعسكران الغربي والشرقي على إقامتها، ومدّها بأسباب الحياة من مال وسلاح وتسهيل لأسباب الهجرة إليها، حتى رأينا الستار الحديدي في روسيا يفتح أخيرا ليكشف بنحو مليون مهاجر يهودي تمهيدا لإقامة إسرائيل الكبرى. كذلك احتل الاستعمار الروسي أفغانستان، وأقام فيها حكومة شيوعية تأتمر بأمره لتقوم ثورة المجاهد الأفغاني ضد الدب الروسي، ولسان حالها يردد قول حافظ إبراهيم:

نذبح الدب ونفري جلده أیظن الدب ألا يُغلبا

وكان الأدب الإسلامي في خلال تلك الأحداث والغمرات، يحاول أن يقوم بدوره في إنقاذ الأمة الإسلامية، ويرسم لها طريق الخلاص بالعودة إلى الإسلام من جديد. وعمل كتاب الإسلام وشعراؤه على فضح مخططات الاستعمار غربية وشرقية، وصلبيته ويهوديته، ووصفوا ما ارتكبه من فظائع تقشعر لها الأبدان، كما بينوا أن هذا الاستعمار لا يحتكم إلا إلى شريعة الغاب، ولا يخضع إلا لمنطق القوة، ومن هنا دعوا إلى الجهاد الإسلامي، ووصفوا المعارك والثورات ضد المستعمر الدخيل، وأشادوا بالبطولات الإسلامية الفذة، ورثوا شهداء الأمة الأبرار، ولم يغفلوا في أثناء ذلك كله عن وصف واقع الأمة وتخلّفها، وذلك لاستنهاض الهمم وشحن العزائم، كما حذروا الأمة من أخطار المبادئ الهدامة التي كانت تعصف بها، وتكاد أن تمزقها شرا ممزقا.

وجاء كل ما قيل من شعر ونثر في هذه المحاور المختلفة مؤكداً وحدة الآلام والأمال ووحدة المصير في شعوب الأمة الإسلامية جمعاء، وداعيا دعوة صريحة إلى السير في طريق الوحدة الإسلامية مهما طال الطريق إليها، وتشعبت المسالك دونها.

وإذا كان مجال البحث يضيق عن استعراض سائر هذه المحاور، فلا أقل من أن نلقي الضوء على أهمها، مما يؤكد ما كان يقوم به الأدب الإسلامي من استنهاض المسلمين، وإعادتهم إلى دينهم ووحدتهم التي أرادها الله لهم، ودعاهم إليها في قوله تعالى: ﴿إن هذه أمّتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (٤٠).

محرم (٤١):

لا قبة الإسلام قائمة ولا ملك الخلائف ثابت الأركان
يمضي تراث المسلمين موزعا والمسلمون نواكس الأذقان
ما بين مصر إلى طرابلس إلى عدن إلى القوقاز فالبلقان
كر الصليب عليه كرة حائق صرم العداوة ثائر الشنان
حار (الهلال) فما يحاول نهضة إلا رماء محلّق الصلبان
ويعلن أن نوايا الغرب قد تكشفت مما يوجب التماسك في مواجهة شروره (٤٢):

تكشف الغرب وانصاحت مآربه فلا الشكوك تواربها ولا الريب
سيروا بني الشرق في ظل الإخاء عسى أن تفلحوا ولعل الصدع يرتب
ويفضح حافظ إبراهيم طمع الاستعمار الغربي مهيبا بالشرق أن ينهض من سباته (٤٣):

طمع ألقى عن الغرب اللثاما فاستفق يا شرق واحذر أن تناما
كشفوا عن نية الغرب لنا وجلّوا عن أفق الشرق الظلما
فقرأناها سطورا من دم أقسمت لتتهم الشرق التهاما

وبيّن الرصافي نظرية الغرب إلى المسلمين مؤكدا أن الإسلام ذنب الأمة الكبير في نظر الغربيين (٤٤):

أيها المسلمون لستم من الغرب بحال تستوجبون احترامنا
إنما أنتم لدى الغرب قوم خلقوا عن سوى الشرور نياما
فإذا ما وسعتم الناس حلما عدّه الغرب شرة وعراما
وإذا ما ملأتم الأرض عدلا عدّ جورا، أو مفخرا عدّ ذاما
وإذا ما افتري عليكم عدو سكتوا عنهم ومروا كراما
إن تكن هذه السياسة عدلا فإلى الظلم نشكي الآثاما
رحم الله أمة أصبح الغرب يرى كلّ ذنبها الإسلامية
وفي هذا الاستعمار الذي لا يفهم إلا بمنطق القوة، ولا يحتكم إلا إلى شريعة الغاب يقول الأمير شكيب أرسلان (٤٥):

فما العيش إلا أن نموت أعزّة وما الموت إلا أن نعيش ونسلما
تجاهل أهل الغرب كل قضية إذا لم يجئ فيها الحسام مصمما
وإذن فلا بد من الثورة على هذا المستعمر الغاشم ولا بد من حمل السلاح وإعلان الجهاد، وها هو ذا خليل مردم يحفر كتاب الثوار فيقول (٤٦):

يا أيها الثوار هذا يومكم فإذا انقضى لا تدركون فلاحا
«حلفاؤكم» حسبوا البلاد غنيمة جادوا بها إذ قسموا الأرباحا
الحكم لله المهيمن لا لهم ذل الذي يلقى الغداة سلاحا
أين الكتائب فيكم رجراجة تذر الروابي والتلاع بطاحا
الموت أربح صفقة من عيشة من أسرها لا ترجون سراحا
ويقول أنور العطار في مثل ذلك (٤٧):

يا صحابي ومعشري وقبيلي أن أن تستفيق تلك الصواري
صدا الدهر لم ينل من ظباها فهي مسنونة الشفار حواسم
فامنعوها غمودها وكراها واستثيروا بها دفين العزائم
لا تناموا على الأسار وتغفوا فلقد ملّت القيود المعاصم
وانفضوا عنكم الرقاد وهبوا لم تلن هذه الحياة لنائم

ويقول خير الدين الزركلي في معركة ميسلون التي تصدى فيها السوريون للجيش الفرنسي الزاحف على بلاد الشام (٤٨):

غلت المراحل فاستشاطت أمة عربية غضبا وثار رقبود
زحفت تذود عن الديار، وما لها من قوة فعجبت كيف تذود
الطائرات محومات حولها والزاحفات صراعهن شديدا
ولقد شهدت جموعها وثابة لو كان يدفع بالصدور حديد

ويصف أمير الشعراء أحمد شوقي هذه المعركة من خلال رثائه لقائدها البطل الشهيد يوسف العظمة، فيقول (٤٩):
مشى ومشت فيالق من فرنسا تجر مطارف الظفر اختيالاً
ملأن الجو أسلحة خفلاً ووجه الأرض أسلحة ثقلاً
وأرسلن الرياح عليه نارا فما حفل الجنوب ولا الشمال
أقام نهارة يلقى ويلقى فلما زال قرص الشمس زالا
ويقول محمود حسن إسماعيل في ثورة المغرب العربي ضد الاستعمار الفرنسي (٥٠):

على الشرق نار ستفني الطغاة
وتأكل من سدّ يوماً خطاه
ومن قيده وشلوا ضحاه
وفي الشرق عار، شربنا لظاه
وصرنا من الخزي فوق الجباه
عبدا نصلي لسوط العتاه
وللمشرق نار عرفنا مده
إذا أذنت للجهاد الصلاة
دفننا مع الغاصبين الحياه

ويصف خير الدين الزركلي ثورة الجزائر فيقول (٥١):

وفي أفق الجزائر وهج نار وقود لهيبها غير الوقود
تفاني أهلها في الذود عنها سراعاً بالزناد وبالزود
وما زكى المواطن كالضحايا يرفرف فوقها علم الخلود
ويقول حسن كامل الصيرفي في قصيدة «ميلاد أمة» واصفاً مواجهة المصريين للاحتلال الإنكليزي الذي جثم طويلاً على صدر مصر (٥٢):
بسمت للهول إذ أبدى نواجذه وقلت للموت: هذا يوم ميلادي
ميلاد أمتي السماء، فانتكشت لي الطبيعة من وهدي وأطواد
ورجعت سموات الله صرختها كأنها غابة ضجت بأساد
وقوضت عزمات الباسلين ذرى شماً تحصن فيها الغاشم العادي
كتائب في سبيل الحق غازية ترد من لهوات الجائع الصادي
عادت إلى الوطن المجروح تنقذه بعد المذلة من غل وأصفاد
ويدعو علي محمود طه إلى الجهاد ضد اليهود في قصيدته «نداء الفداء» فيقول (٥٣):

أخي جاوز الظالمون المدى فحقّ الجهاد وحقّ الفدا
أنسركم يغصبون العروبة مجد الأبوة والسؤدا
وليسوا بغير صليل السيوف يجيئون صوتاً لنا أو صدى
فجرّد حسامك من غمده فليس له بعد أن يغمدا
أخي قم إليها نشق الغمار دماً قانياً ولظى مرعدا
أخي ظمئت للقتال السيوف فأورد شياها الدم المصعدا
فلسطين يحمي حماك الشباب وجل الفدائي والمفتدى
فلسطين تحميك منّا الصدور فإما الحياة وإما الردى
ويقول الدكتور عبد الرحمن بارود في مسيرة الجهاد الإسلامي في فلسطين (٥٤):

قائدي فارس البراق وإخو ني المثنى وطارق بن زياد
قد أضاء القرآن قلبي فحلق قد أضاء القرآن قلبي فحلق
(مكتني) أخت (طبيبي) أخت (قدسي) كل من مسهن مس اعتقادي
برقت «بدننا» الجديدة. هذا الشر ق يصحو على صهيل الجياد
فسوق كل الرايات راية ربي ويد الله فوق كل الأيادي
ويقول الدكتور عبد الرحمن العشماوي في جهاد أطفال الحجارة (٥٥):

ووقفت حين رأيت طفلاً شامخاً قاماتنا من حوله تتقرّم

طفل صغير والمدافع حوله طفل صغير والمدافع حوله
في كفه حجر وتحت حدائه في كفه حجر وتحت حدائه
من أنت يا هذا؟ ودحرج نظرة من أنت يا هذا؟ ودحرج نظرة
أنا من ربوع القدس طفل فارس أنا من ربوع القدس طفل فارس
لغة البطولة من خصائص أمتي لغة البطولة من خصائص أمتي
يا أمة الإسلام نحن حقيقة يا أمة الإسلام نحن حقيقة
ها نحن في درب الجهاد وفوقنا ها نحن في درب الجهاد وفوقنا
من داخل الوطن السليب جهادنا من داخل الوطن السليب جهادنا
وإذا سألتكم عن حقيقة حالنا وإذا سألتكم عن حقيقة حالنا
نرمي بها الباغي، وفي إسلامنا نرمي بها الباغي، وفي إسلامنا
سكت الرصاص فيا حجارة حدّثي سكت الرصاص فيا حجارة حدّثي

ويجمع الدكتور عدنان نحوي بين الجهاد الفلسطيني والجهاد الأفغاني، فيقول (٥٦):

يا أديب الإسلام أين السرايا نزعت عن مضاجع ومُهود
أيقظتها صواعق من نداء خاطفات بقيّة من كبود
دفعتها إلى النزاع أهازيخ فماجت على لهيب الشيد
وجلتها على بطاح (فلسطين) دويّا في يومها المشهود
وعلى (كابل) وزمّمت الأرض لهيباً وازعدت بالجنود
ويقول محمود مفلح في مسيرة الجهاد الأفغاني مستبشراً بالنصر متحدثاً عن أثر العقيدة في هذه الثورة، فيقول (٥٧):

لن يطول الظلام يا (كابل) الطواغيت كلها ستزول
أنت بنت الإسلام والشامة الزهراء في خده وأنت القبيل
أنت بنت الإسلام والمجرم الوغد سراب على ثراك دخيل
راية الله في سمائك كالنسر وفرسانه لديك الأصول
إنها ثورة العقيدة فالأرض حنين والمسلمون سيول
ويؤكد أحمد محمد صديق هذه المعاني الإسلامية في جهاد الأفغان فيقول (٥٨):

على تلك الجبال الشم حيث يدمدم الحجر
ومن أعماقنا يا (قندهار) تفجير الشر
(يا كابل) معجزة الجهاد يخطها القدر
وباسم الله... باسم القاهر الجبار نتنصر
وتشرق في كهوف الليل منا الآي والسور

وهكذا تتجلى صورة المجاهد المسلم في كل زمان ومكان، وفي كل ثورة وزحف، ونرى هذه الصورة أجلى ما تكون في قصيدة «المجاهد» لسليم زنجير، حيث يقول (٥٩):

ماض، وأعرف ما دربي وما هدفي والموث يرقص لي في كل منعطف
وما أبالي به حتى أحاذره فخشية الموت عندي أبعد الطرف
أنا الحسام بريق الشمس في طرف مني، وشفرة سيف الهند في طرف
أهفو إلى جنة الفردوس محترقا بنار شوقي إلى الأفياء والغرف
وقد أمر على الدنيا وساداتها من الطغاة مرور الليث بالجف
إني شمت هوى الدنيا وزهرتها وصل قلبي ذرا وروضاتها الأنف
وقد بلوت لباليها وأنهرها فتى وحزرت لآليها من الصدف
فلم أجده غير درب الله درب هدى وغير ينبوعها تبعاً لمغترف
فطرت أسعى إليه أتغني تلفني به، ورب خلود كان في تلف
والناس تصرخ: أحجم، والوغي نشبت والله يهتف بي: أقدم ولا تخف
ماض، فلو كنت وحدي والدنا صرخت بي: قف، لسرت فلم أبطن ولم أقف

وحدة إسلامية

وكثيراً ما كانت الدعوة إلى الجهاد تقتنر بالدعوة إلى الوحدة الإسلامية، أو

تأتي تمهيدا وتأكيذا لحيثيتها، فيها هو ذا شاعر الإسلام أحمد محرم يدعو العرب إلى مخاطبة الغرب بلغة النار والدم، ويدعو إلى وحدة عربية تحت راية الإسلام، لتكون نواة للوحدة الإسلامية التي طالما تغنى بها، ودعا إليها (٦٠):

أمم العروبة جاء يومك فاعلمي
لك في فم الأحداث دعوة صارخ
ضمي القوى وتجمعي في وحدة
هذا زمان ليس يفهم أهله
كثرت لغات العالمين وهذه
والعدل أكثر ما يكون حديثه
أمم العروبة جد جدك فانظمي
لك أن تسودي تحت رايتك التي

وينظم الأستاذ عبد الحكيم عابدين نشيداً إسلامياً، يمزج فيه بين الدعوة إلى الجهاد وبين الدعوة إلى الوحدة الإسلامية فيقول (٦١):

جدد العهد وجنبي الكلام
واقرع الطبل وخذ متن الحسام
وطني الإسلام لا أفندي سواء
مصر والشام ونجد ورباه
برئ الإسلام من شاك مقيم
ذروة الدين جهاد في الصميم

وينظم الدكتور زاهر الألعي قصيدة بعنوان «عودي إلى درب الحياة» فيتحدث عن خطر انقسام الأمة إلى يمين ويسار، ويبين أن إنقاذ المسجد الأقصى لن يتم إلا بوحدة إسلامية متينة، تربط أواصرها العقيدة السليمة (٦٢):

المسجد الأقصى وبألهابه
خجلاً وحزناً من مواقف معشر
شغلتهم الشارات فيما بينهم
هكذا يميني ورجعي وذا
بش التهاثر ضاع في غمراته
ما غير دين الله يجمع شملنا
ربطت أواصرنا العقيدة فارتقي
المسجد الأقصى وخفق حشايتي
لا، لن تحرره دعاوى هاتف
لكن جهاد عادل متطاول

وفي قصيدة «هوية» يربط الأستاذ حيدر غدير بين معاني الجهاد والوحدة التي تجمع سائر الأجناس في هوية إسلامية واحدة، وهو يؤكد أن هذه الوحدة تقوم على أساس راسخ من الإيمان بالإله الواحد والإسلام الكامل والقرآن الخالد، فيقول (٦٣):

سلاماً يا بني ديني سلاماً
حملت لكم من الأقصى غراماً
ونشراً لا تدانيه الخزامى
ومن أرض الحجاز هوى عراما

لكل مجاهد في الله قاما
يجمعنا إذا اختلفت أصول
و(كعبتنا) و (طيبة) والرسول
وقرآن له دانت عقول
تزول الراسيات ولا يزول

وقالوا: من حجاز الخير جثا
وهل في جلت الفحاء عثا
فمن أي التخوم تراك أنتا

فقلت لهم: أتيت من الكتاب
ومن برق المواضي والحراب
تري يكفيك يا هذا جوابي؟

أتيت من الشام ومن سناها
ومن أبطال سيف فتاهها
فطاب جهادهم وسما وتاهها

أتيت اليوم من مليبار مسلم
هم جيش جهاد أتى فأكرم
وعدهم يا أخي بالنصر عدهم

ولم تكن الدعوة إلى الجهاد ضد المستعمرين وفقاً على كتاب العربية وشعرائها، فيها هو ذا شاعر الإسلام محمد عاكف يهاجم الاستعمار الروسي حيناً، والإنجليز حيناً آخر، وهو يقول في معركة جنائ قلعة (٦٤):

إن آذان الغرب وأحاسيسه صماء
لا يسمع صيحات أولئك المسلمين البؤساء
بل إن البشرية كلها تستغيث وتبتهل إلى الله العلي القدير
أن يرحمها من هؤلاء القساء الذين يسوقون الملايين إلى الموت . .
إن ما فعله الغرب الصليبي تجاه المسلمين أمر فظيع
لقد اتحدت كلمته على تدمير البلاد الإسلامية ومحوها من الوجود
والدولة العثمانية التي تقف صامدة أمام الطغاة
هي آخر معقل للإسلام، وهي أمل المسلمين في الخلاص والنصر
انظروا إلى هذا الجندي المقدم . . إنه من جنود الله
نعم . . إن عيني الآن تتبعان أفراد جيشنا فرداً فرداً
إنهم أعظم الأبناء الذين يشكلون جيشنا الباسل
إنهم يدافعون عن الإسلام
وإن استشهدوا فإلى رحمته الله
إنهم أمل ثلاثمائة وخمسين مليوناً من المسلمين
يا لها من كارثة محققة إذا انهزم هؤلاء البواسل
سوف تهتدم المآذن وتهوي من صدر الفضاء
ولن تسمع صوتاً يردد «الله أكبر» مرة أخرى
أيها الأبطال الصناديد، لا تخشوا الأعداء
ولا ترتدوا على أعقابكم، نحن معكم . .

وأما شاعر الإسلام الكبير محمد إقبال فقد بحث عن المثل الأعلى للإنسان قرأه في المسلم الكامل «الخليفة في الأرض، إنه المسلم الذي خلّقه القرآن، ومعتمده الرحمن، المسلم الوائق من نفسه، المحترم لذاته . . من عزمته سيف، وإرادته انتصار، وطريقه جهاد وغايته استشهاد» (٦٥):

وإلى هذا المسلم اتجه إقبال ليحيي فيه روح الجهاد فقال (٦٦):
قم وانشر التوحيد في السدينا ووخد الأمم
فأنت خير من دعا وأنت خير من حكم
منزلك العلوي لا تحجب صرحه العيوم
أنت من الجيش السدي غبار خيله النجوم

ويرتفع في الشام صوت يصور خطر انقسام الكلمة وأثر الحزبية التي أفستت وحدة الصف وأثارت التناحر على الزعامة (٧٣):

وما شكواي أو شكواك إلا لفوضى في المجامع وانقسام
تري كلاً له أمل وسعي وما لائنين حولك من ونام
وأحزاباً إن التأمت فليست تدور بها الأمور على التثام
لكل جماعة فينا إمام ولكن الجميع بلا إمام
تعددت الزعامة فاستقلت بها زمر تسير بلا نظام
فنحن الأقوياء على انفراد ونحن الأضعفون على انضمام
ولولا ما يد التفريق تجني وتعقب من شقاق وانقسام
لكان ببعض من تلقى غناء وما تهوى على طرف الثمام

ويقول محمود غنيم في تصدع العرب مقرر أن الوحدة الإسلامية التي تتلاقى فيها الأرواح هي التي ينبغي أن تجمع شمل الشرق بما فيه من عرب وعجم (٧٤):

ما بال شمل شعوب الضاد منصداً رباه أدرك شعوب الضاد رباه
عهد الخلافة في البوسفور قد درست آثاره . . طيب الرحمن مشواه
إني لأعتبر الإسلام جامعة للشرق، لا محض دين سنه الله
أرواحنا تتلاقى فيه خافقة كالنحل إذ يتلاقى في خلاياه

ومثلما كانت النكبات التي منيت بها كثير من البلاد الإسلامية بعد ضعف الخلافة العثمانية تثير تعاطف هذه البلاد، وتشعر الأمة الإسلامية بوحدة الآلام والآمال، فقد تجدد هذا التعاطف والشعور بوحدة المصير في النكبات التي صبتها الاستعمار الغاشم على مختلف أقطار العالم العربي والإسلامي، فهذا هو ذا أمير الشعراء أحمد شوقي يقول في نكبة دمشق (٧٥):



حافظ إبراهيم

وسلام من صبا بردى أرق ومدمع لا يكفكف يدا دمشق
ومعذرة البراعة والقوافي جلال الرزء عن وصف يدق
وبي مما رمتك به الليالي جراحات لها في القلب عمق
دم الثوار تعرفه فرنسا وتعلم أنه نور وحق
بني سورية اطرحو الأمانى وألقوا عنكم الأحلام ألقوا
نصحت ونحن مختلفون دارا ولكن كلنا في الهم شرق
ويجمعنا إذا اختلفت بلاد ييان غير مختلف ونطق

ويقول شوقي عندما بويع أميراً للشعراء (٧٦):

رب جبار تلفت مصر توليه سؤال الكريم عن جبرانه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجرح وأن نلتقي على أشجانه
كلما أن بالعراق جريح لمس الشرق جنبه في عمانه

ويقول شاعر النيل حافظ إبراهيم في مثل ذلك (٧٧):
إذا أملت بوادي النيل نازلة بات لها راسيات الشام تضطرب
وإن دعا في ثرى الأهرام ذو ألم أجابه في ذرى لبنان منتحب
ويقول عمر أبو ريشة في قصيدته «جبل النار» مفصلاً عن المشاركة الوجدانية بين البلاد العربية وفلسطين (٧٨):

جبل النار لن تنام كما نمت جريح العلاء كسح الطمّاح
لك حب في (قاسيون) و (صنّين) و (سيناء) ماله من براح
أنت للعرب كالمنارة في الساحل لاحت لأعين الملاح

وقال مخاطباً المجاهد المسلم الذي يقاتل معه جنود السماء إذا صدق مع الله (٦٧):

أنت رب الجنود أنت فتى الميدان أنت المغزى وأنت القضية
إن أهل السماء جنودك لو تدري استغليت هذه الجنديّة

بصيرة نافذة

وكان إقبال يؤمن بأن نهضة المسلمين رهينة بنهضة العرب ووحدتهم، وكان يخشى على العرب من اليأس والوهن الذي يقضي على روح الجهاد في الأمة التي خلقت لقيادة البشرية جمعاء، فهو يقول (٦٨):
«إن الله قد رزقكم البصيرة النافذة، ولا تزال فيكم الشرارة كامنة فقوموا أيها العرب (قوة رجل واحد) وردوا فيكم روح عمر بن الخطاب مرة أخرى. إن منبع القوة ومصدرها هو الدين، منه يستمد المؤمن العزم والإخلاص واليقين . . . وما دامت ضمائرهم أمينة للسر الإلهي فيا عمار البادية، أنتم الحراس للدين، وأمناء الله في الأرض . . .»

وبارجل البادية وسيد الصحراء عد إلى قوتك وعزتك، وامتلك ناصية الأيام، وخذ غنان التاريخ، وقُدْ قافلة البشرية إلى الغاية المثلى . . . ويردد محمد عاكف ما قاله محمد إقبال فيقول (٦٩):

يا أمة الإسلام . .

لا تيأسي وتقول: لقد انتهى الأمر

أيها الأمة المستظلة برحمة الله . . .

حذار أن تعقي فريسة اليأس . .

أيها المسلمون أفيقوا . .

سيكون صوت الناقوس مروعاً في الآذان

لم يوقظكم صوت القطارات والبواخر

ولم يُجِدْ هدير المدافع فتيلاً في تنبيهكم

أنتم آخر ومضة أمل للإسلام

وعليكم تبعة الأمم المتحضرة . .

ويجدد الشعراء ما نادوا به من قبل في ظل الخلافة والجامعة الإسلامية من الدعوة إلى توحيد الصفوف ونبذ الفرقة، فيقول أحمد محرم في رثائه لعمر المختار (٧٠):

هتف النعي فما ملكت بياني ليت النعي إلى الأنام نعاني
ذعر (الحطيم) وراع (يثرب) عاصف للموت ضج لهوله (الحرمان)
سهم أصاب المسلمين وجال في كبد الهوى وحشاشة الإيمان
وارحمتا للمسلمين تفرقوا وتباعدا في الأرض بعد تدان
من كان أبصر خطبهم فأنا الذي مارسته ولمسته بيناني
ما زلت أجمع بالقريض شتاتهم حتى انقضى أدبي وضاع زمانني
ويقول في نكبة الفرنسيين دمشق (٧١):

ما للسياسة تؤذيها وتبعدنا عما يضمّ قوانا حين نقتررب
أغرث بنا الخلف حتى اجتاحت قوتنا وطاح بالشر ما تجني وترتكب

ويقول الرصافي في مثل ذلك مؤكداً أن الإسلام يوجب نبذ الفرقة التي يحاول المستعمر زرعها بين الصفوف (٧٢):

أتونس إن في بغداد قوماً ترف قلوبهم لك بالوداد
ويجمعهم وإياك انتساب إلى من خص منطقهم بضاد
ودين أوضحت للناس قبلا نواضع آيه سبل الرشاد
فنحن على الحقيقة أهل قربي وإن قضت السياسة بالبعاد
وما ضرّ البعاد إذا تداننا أواصر من لسان واعتقاد
وإن المسلمين على التآخي وإن أغرى الأجانب بالتعادي

ويقول الشاعر كمال النجمي في مثل ذلك (٧٩):

إبىء فلسطين والأبام راكضة بنا تقطع قلب الدهر بالخيب
ماذا سفتك يد الأبام من غصص أئمة ورمك الدهر من كرب
لما سقطت بكى القرطاس من وله عليك وانشق صدر السيف من غضب
يبكي عليك بنو الإسلام من عدن إلى الرياض إلى مصر إلى حلب
قد ذاب كل قواد حرقه وجوق وانشق كل جساد منك لم يذب
بي منك جرح فتى خيمت عربيته ومسلم حيز منه عرضه وشبي
ولم أزل كأبي أهفـو إليك أسى وينثني لأعج الشوق نحوك بي
قاسمت فيك الأسى شعري فقامسني حتى وهيت وضج الشعر من لغب

ويقول الشاعر اليمني أحمد الشامي مؤكداً أن استرداد القدس لا يتم إلا بالوحدة الإسلامية التي تجمع المسلمين من السند حتى المغرب العربي (٨٠):

بني العروبة هبوا من مضاجعكم واخشوا إذا ما غفلتم سوء منقلب
لا تتركوا القدس للأغراب والتمسوا نصر العروبة في التوحيد والغلب
سيصرخ العرب بالإسلام في أمم شتى من السند حتى المغرب العربي

ويعبر الشاعر التركي سليمان نظيف عن ألمه لوقوع العراق في براثن الاحتلال الإنجليزي، فينظم قصيدة بعنوان «أنا ودجلة» يقول فيها (٨١):

إنها لمصيبة حلت بالأمة الإسلامية
وإنها لمصيبة هائلة . .

إنني أبكي ببغداد عاصمة الرشيد . .
سواءً كانت على قيد الحياة . .

أو كانت تعاني سكرات الموت . .
. . قل لي يا نهر دجلة . .

أما زلت تسيل متعطفاً بدلال
بينما تنقلب ألماً «بلد الخلفاء»

تحت قهر الأعداء . .
قل لي يا نهر دجلة . .

يا فخر سماء العراق . .
ها هو ذا جداد آخر في ديار الإسلام

غن يا دجلة لبغداد أغنية الطفولة . .
فقد كانت الطفلة المدللة عند أسودك الأشاوس

ولتسل التاريخ إذا كنت قد نسيت . .
فهي سوف تظل موضع فخر . .

ثم يعبر الشاعر عن وحدة الوطن الإسلامي في صورة حزينة فيقول (٨٢):

لقد ولدنا جميعاً في أفق وطن واحد
منبعك ومهدي توأمان . .

. . ومن هنا انطلق سيل البلاء
ولا أعلم الآن أين سيكون مده . .

. . كان يضمّ منبعك ومصبك وطن واحد
ولكنك الآن دخلت في دوامة أخرى

لقد أفعمت قلوبنا بالأحزان
وحطمتها بالبعد والجفاء . .

إن قلبي يكاد يتفطر حزناً
كلما تذكرت أنك لم تخلق ليظاً وأديك أجنيبي دخيل

والآن لقد تسلم الأغيار أجمل معانيك . .

نظام شامل

وهكذا مضى الأدب الإسلامي المعاصر ينسج مجدداً خيوط الدعوة إلى الوحدة الإسلامية بما أثاره التحدي الاستعماري من وعي الأمة بماضيها المشرق وحاضرها المحزن، وبما هاجت الأحداث والتكبات من مشاعر المسلمين وإدراكهم لضرورة التجمع والتكاتف وتوحيد الصفوف أمام العدو الواحد والمصير الواحد.

فيما هو ذا شكيب أرسلان الذي رأيناه من كبار الدعاة إلى الجامعة الإسلامية في ظل الخلافة العثمانية يعود من جديد داعية إلى الوحدة الإسلامية، وإن كان مصير الدعوة إلى الجامعة الإسلامية جعله يدعو إلى الوحدة العربية، ويقرر أنها أمر محتوم، مع اعتقادنا الجازم بأنه يدعو إلى هذه الوحدة المصغرة لتكون نواة للوحدة الإسلامية الشاملة، فهو يقول (٨٣):

«فأنتم ترون أن هذا العالم العربي كله ذو منبع واحد، ولغة واحدة، وغاية واحدة، ولهذا فالتبيعة ستسير به قهراً وقسراً إلى الوحدة، وهذه الممالك التي قد مزقتها الأوربيون المستعمرون أجزاء من السند إلى الموصل، ستعود مملكة واحدة كما كانت في عهد الخلافة العباسية».

أما كاتب الإسلام الكبير مصطفى صادق الرافعي فهو يرى أن الوحدة الإسلامية ينبغي أن تبنى على نظام الدول الإسلامية المتحدة فيقول (٨٤):

«ولما كان المسلمون إخوة بنص دينهم، وكانت مبادئهم واحدة ومنافعهم واحدة وكتابتهم واحدة فلا جرم كان من السهل - لو رجعوا إلى أخلاق دينهم وانتبهوا ما يصدر عنها - أن يؤلفوا من الشرق كله دولاً متحدة يحسب لها الغرب حساباً ذا أرقام لا تنتهي».

ويبقى صوت الشعر دائماً أوضح وأصرح من النثر في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية، فنحن نسمع أبياتاً رائعة للوصافي يبين فيها أن الوحدة الإسلامية مبنية على عقيدة التوحيد، وموصولة بحبل الله المتين (٨٥):

قل لمن رام صدعنا بشقاق أنت كالوعل ناطح الصفوان
ليس معنى توحيدنا الله في الملة إلا اتحادنا في الكيان

وحدة جاءنا من الله فيها مرسل بالكتاب والفرقان
فاعتصمنا منها بحبل وثيق هو حبل الإخاء والإيمان

ويتردد لدى بعض الشعراء المعاصرين لفظ «العروبة» ولفظ «الشرق» أحياناً على أنها مرادفات للإسلام أو للأمة الإسلامية، وهذا ما يؤكد قول

محمود غنيم (٨٦):

هي العروبة لفظ إن نطق به فالشرق والضاد والإسلام معناه
ومن هنا يقول علي الجارم معبراً عن العالم الإسلامي بالشرق في وحدة

تحوطها قلوب العرب (٨٧):

صحا الشرق وانجاب الكرى عن عيونه وليس لمن رام الكواكب مضجع
توحد حتى صار قلباً تحوطه قلوب من العرب الكرام وأصلع
فليست حدود الأرض تفصل بيننا لنا الشرق حد والعروبة موقع

ويعبر محمد البرم عن مشاعر الوحدة «التي تربط بين أبناء الوحدة قاطية، فيستلهم كل حاضرة دورها في رسالة الإسلام وتاريخه، ويؤلف من دورها عقداً

جميلاً فريداً، تتكامل فيه معاني الوحدة بمضمونها الإسلامي وطاقتها التاريخية (٨٨): فيقول (٨٩):

جلّق منبت جسمي، وعلى دجلة محتد قومي العابرين
وإلى بغداد مهوى النفس لي أنه تتابني حيناً فحين

وحشاً تهفو إلى أم القرى مهبط الوحي، ومهد المرشدين
وفؤاد شؤله في شرب كاهل المجد وأرض الفاتحين

وبنجد لا تعدها الحيا منعة العرب ومشوى المتقين
وعلى البطحاء مجد غابر شاخص أخلقه كبر السنين

وبصنعاء تخطأها الأذى عزة الليث إذا حلّ العرب
موئل من حل في أرباعه في الزايا كان في حبر مكس



عمر بهاء الدين الأميري

وما لبثت الدعوة إلى الوحدة أن انتقلت من ألسن المفكرين والأدباء إلى الواقع السياسي حين نادى الملك عبد العزيز بالوحدة الإسلامية، وحض المسلمين على التآزر والتناصر وتوحيد الصف، فدعا إلى عقد أول مؤتمر إسلامي بمكة المكرمة في العشرين من ذي القعدة سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥ م. ولقد استجاب المسلمون

لندائه وتقاطرت وفودهم على مكة المكرمة، فبلغ عدد أعضائه سبعين عضواً من مختلف الأقطار الإسلامية (٩٠).

ويقول الشاعر أحمد الغزالي في هذا المؤتمر مخاطباً الملك عبد العزيز رحمه الله (٩١):

أجاب بنو الإسلام طراً نداءكم
وخاضوا غيابة البحر كيما يشاهدوا
فلما رأوا ما يبلا العين قفرة
بنو العرب (فليهنكم) نصر قبلكم
فلا تتركوها فرصة ذهبية
فقد حان للأمال أن تبسما

وعندما أعلنت الوحدة بين مصر والشام أشفق الأستاذ عمر الأميري أن تنفصم عرى هذه الوحدة ما لم يحمها جيل من الشباب المؤمن القوي، فقال (٩٢):

تفرّق بالقوم حكامها
وفي وحدة القوم خير وفيه
لقد أعلنوها... ولكنني
أريد بناء حماة لها
فمن لي بإنشاء جيل أبي
وزاغت قلوب غدتها الإحن
ومجد جدير بأعلى ثمن
أكاد أرى غير ما قد علن
إذا قلب الدهر ظهر المجن
تقي قوي يصد المحن

وسرعان ما انفصمت عرى هذه الوحدة لأنها قامت على القومية العربية دون اعتماد على أساس متين من عقيدة الأمة وشريعتها، وهو ما كان الأستاذ الأميري يدعو إليه في مثل قوله (٩٣):

قالوا: العروبة، قلنا: إنها رحم
أما العقيدة، والهدى المنير لنا
وشرعة، قد تأخت في سماحتها
وموطن ومروءات ووجدان
درب الحياة، فإسلام وقرآن
وعُدلها الفد أجناس وألوان

وجاءت دعوة الملك فيصل إلى التضامن الإسلامي تمهيداً وتأكيذاً لضرورة الوحدة الإسلامية، وقد أدرك - رحمه الله - أن هذا التضامن ضرورة لا بد منها لمواجهة الشلوث الجاثم على صدر الأمة الإسلامية، وهو شلوث الاستعمار، والشيوعية، والصهيونية.

وفي هذه الدعوة إلى التضامن الإسلامي يقول الدكتور زاهر الألمعي (٩٤):

فيا فيصل الإسلام قدما عزيزة
دعوت شعوب المسلمين لوحدة
إذا ما اعتلت في الصين صيحة مسلم
ودوت بأرجاء الرباط استجابة
وضم شعوب المسلمين تضامن
كثير موج فاض ليس له جزر
فأصغت لك الأيام والتفت الدهر
تجاوب في أم القرى البيت والحجر
وهبت لها بغداد وانتفضت مصر
فعرّ به الإسلام وانهمز الكفر

وهكذا عكف عدد كبير من الشعراء المعاصرين على تأكيد المضمون الإسلامي في الوحدة العربية المرتقبة، فقال الأستاذ صالح جودت (٩٥):

في ملتقاهم موعد للوفاق
يُهب بالشام ويدعو العراق
سيروا إلى ميعاده يا رفاق
قد سادنا أعداؤنا في الفراق
لوذوا بحبل الله واستعصموا
وليتظلمكم محذور مسلم
ومن خلال العرب صدق الوعد
ويحضر المغرب وابن السعد
وحققوا وحدتكم في الوجود
وأن في وحدتنا أن نسود
بالعروة الوثقى ولمّا الشتات
تجري أمانيه بأم اللغات

ويقول الأستاذ عبد الحكيم عابدين في مثل ذلك (٩٦):

وطني الإسلام لا أفدي سواه
ومنه أين كانوا إخواني؟
مصر والشام ونجد ورباه
مع بغداد جميعاً أمّتي

ويقول الأستاذ يوسف القرضاوي في الوحدة الإسلامية الشاملة (٩٧):

يا أخي في الهند أو في المغرب
أنا منك، أنت مني، أنت بي
لا تسلم عن عتصري، عن نسبي
إنه الإسلام أمي وأبي
إخوة نحن به مؤتلفون

يا أخا الإسلام في كل مكان
قم نفك القيّد قد أن الأوان
واصعد الربوة واهتف بالأذان
وارفع المصحف دستور الزمان

واملاً الأفاق: إنا مسلمون

وفي الأدب الإسلامي التركي ردّد الكتاب والشعراء ما كان يقوله محمد عاكف من قبل... فقد عقدت الكاتبة الروائية سامحة أي ويردي فصلاً في كتابها الذي ألفت سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩ م بعنوان «من الرق إلى السيادة» ذكرت فيه أن الوحدة العربية لم تحقق شيئاً في رأيها، بينما يمكن لاتحاد الدول الإسلامية أن يحقق الكثير، ولا سيما أن العالم الإسلامي غني بموارده، وإمكاناته المادية والبشرية، وإنما ينقصه أن يكون غنياً بإسلامه، فهو طريقه إلى آفاق مشرقة» (٩٨).

ويقول الأستاذ نوري باكديل رئيس تحرير مجلة «أدبيات» (٩٩): إن الثورة الكمالية استهدفت حجب تركيا عن الأمم الشريكة لها في الحضارة الإسلامية فأصبحت كالبعير الشارد، ولم تكن حركة التغريب سوى فقدان للذات، ولكن الآن أجبرت الحاجة إلى البترول إلى التواصل مع الدول العربية، ولكن باللعجب أليكون البترول أقوى من الروابط الأدبية؟... إن مناجم الأدب أغنى عمقا من آبار البترول، وقد أن لنا أن نوثق العرى مع كل الدول التي تشاركنا في الحضارة الإسلامية، سواء كانت هذه الدول في أفريقية أو الشرق الأوسط أو آسية».

ويتساءل الكاتب «كيف تنشُد الدول الإسلامية يوماً للتضامن، وفي يوم الحج ما تنشد؟ إنه اليوم الذي يمكن فيه أن يفهم بعضنا بعضاً، وأن ترسم خطاً فاصلاً لمقاومة الاستعمار بكل أشكاله ولمقاومة الإلحاد».

وهكذا ردّد أحفاد السلطان المظلوم عبد الحميد شعاره المعروف: «يا مسلمي العالم اتحدوا» ونادوا بما نادى به من قبل حين قال (١٠٠): «يجب تقوية روابطنا بالمسلمين في كل مكان، وأن يقترب بعضنا من بعض أكثر وأكثر، فلا أمل لنا بهذه الوحدة، ومع أن وقتها لم يحن بعد، لكنه سيأتي، وسبأتي اليوم الذي يتحد فيه جميع المسلمين، وينهضون نهضة رجل واحد».

واستمرت أشعار محمد إقبال تدعو المسلمين إلى الوحدة الشاملة لحماية الإسلام وحماية الحرم الشريف، فهو يقول (١٠١): «فليتحد المسلمون في العالم من ساحل النيل إلى سفوح كاشغر لحماية الحرم».

ب - توصيات لأدباء الإسلام :

- ١ - إن واقع الأدب في العالم الإسلامي وواقع الآداب العالمية كلها يحتملان أن تنتقل إلى أدباء الإسلام الشعار الذي أطلقه السلطان عبد الحميد بعبارة مناظرة فنقول :
« يا أدباء الإسلام اتحدوا »
- ٢ - إن رابطة الأدب الإسلامي العالمية تدعو سائر الأدباء الملتزمين بالإسلام أن ينضوا تحت لوائها حتى يصبح الأدب الإسلامي رائداً للأمم ، كما هو مسئولية أمام الله عز وجل .
- ٣ - إن مسؤولية أدباء الإسلام كتاباً وشعراء أن يثبتوا وجودهم في مختلف الساحات الأدبية ، المحلية والعالمية ، ولن يتم ذلك إلا إذا كان نتاجهم بالغاً حداً فائقاً من الإبداع والتجويد الفني .
- ٤ - إن مسؤولية النقاد الإسلاميين أن يقوموا عطاء الأدب الإسلامي الوفير ، وأن يقوموا بالدراسات النظرية لهذا النتاج منذ فجر الإسلام حتى اليوم ، لتتكامل نظرية الأدب الإسلامي ، وتقف في مصاف نظريات الأدب العالمية ، بل لتكون البديل عنها إن شاء الله تعالى .

الهوامش

- (١) في الكلمة التي ألقاها في المؤتمر الثاني للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في استانبول ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- (٢) في الكلمة التي ألقاها في ندوة الأدب العربي الحديث في جامعة ممبدا في جنوب الهند ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- (٣) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته - سيد قطب ص ٦٥ وما بعدها - نشر الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٣ م .
- (٤) شكيب أرسلان داعية العروة والإسلام - د . أحمد الشرباصي ص ٩٤ بيروت دار الجيل (بلا تاريخ) .
- (٥) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - د . محمد محمد حسين ٩ / ٢ - بيروت دار الإرشاد ١٣٨ .
- (٦) المرجع السابق ١٩ / ١ .
- (٧) المرجع السابق ٢١ / ١ .
- (٨) شكيب أرسلان للشرباصي ص ١٢٤ .
- (٩) المسألة الشرقية - مصطفى كامل ص ٢٣ - القاهرة - مطبعة الآداب ١٨٩٨ م .
- (١٠) الاتجاهات الوطنية ٢٧ / ١ .
- (١١) الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث - د . عبد العزيز ثنيان العمران - الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (١٢) ديوان الأمير شكيب أرسلان ص ٩٠ - تصحيح محمد رشيد رضا - القاهرة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥ م .
- (١٣) شوقي أو صداقة أربعين سنة لشكيب أرسلان ص ٢٥ - القاهرة - مطبعة البابي الحلبي ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م .
- (١٤) ديوانه ص ١٢٩ .
- (١٥) ديوانه ص ٩٩ .
- (١٦) ديوان شوقي ٢٨٢ / ١ - (طبعة الحوفي) القاهرة دار نهضة مصر في ١٩٧٩ م .
- (١٧) ديوان شوقي ٨١ / ١ .
- (١٨) ديوانه المخطوط (عن كتاب الوحدة الإسلامية ص ٦٩) .
- (١٩) ديوان أحمد محرم ١٨ / ٢ - القاهرة - ١٣٣٨ هـ / ١٩٢٠ م .
- (٢٠) رازم : ثابت قائم على الأرض .
- (٢١) ديوان الرصافي ٤٠٢ / ١ - بيروت - دار العودة ١٩٨٣ م .

وإلى أن يأتي يوم الوحدة الإسلامية في أي صيغة مقبولة فإن نشيد هذه الوحدة الذي ينبغي أن يردده ملايين المسلمين منذ الآن هو النشيد الرائع الذي أبدعه شاعر الإسلام الكبير محمد إقبال حيث يقول (١٠٢) :

الصين لنا والهند لنا والعرب لنا . . والكل لنا
أضحى الإسلام لنا ديناً وجميع الكون لنا وطناً
توحيد الله لنا نور أعبدنا الروح له سكناً
الكون يزول ولا تمحى في الدهر صحائف سؤدنا
بنيت في الأرض معابدنا والبيت الأول كعبتنا
هو أول بيت نحفظه بحياة الروح ويحفظنا
في ظل السيف تربيته وبنينا العز لدولتنا
علم الإسلام على الأيام شعار المجد لملتنا
بهلال النصر يضيء لنا ويمثل خنجبر سطوتنا
وأذان المسلم كان له في الغرب صدى من همتنا
قولوا لسماء الكون لقد طاولتنا النجم برفعتنا
يا دهر لقد جرّبت على نيران الشدة عزمنا
طوفان الباطل لم يغرق في الخوف سفينة قوتنا
يا ظل حداثق أندلّس أنسيت مغاني عشرتنا
وعلى أغصانك أطيار صدحت بطلائع نشأتنا
يا دجلة هل سجلت على شطبك مآثر عزتنا
أمواجك تروي للدينيا وتعيد جواهر سيرتنا
يا أرض النور من الحرمين ويا ميلاد شريعتنا
روض الإسلام ودوحته في أرضك رؤاه دمننا
ومحمد كان أمير الركب يقود الفوز لنصرتنا
إن اسم محمد الهادي روح الأمال لنهضتنا
دوت أنشودة إقبال جرسا يحلو فيه الزمنا
ليعيد قوافلنا الأولى في المجد ويبعث أمتنا

وأخيراً فلعل خير خاتمة للبحث أن ننهيه بذكر بعض التوصيات التي تدور حول الأدب الإسلامي وأدباء الإسلام ، حتى يستمر دور هذا الأدب في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية ، وتنشئة الأجيال على التطلع إليها ، والعمل على تحقيقها ، والتغلب على المصاعب التي تعترض طريقها .

أ - حول الأدب الإسلامي :

- ١ - ضرورة الدعوة إلى الأدب الإسلامي ونشر معالم نظريته تحقيقاً لدور الأدب الكبير في الدعوة إلى الوحدة الإسلامية .
 - ٢ - ترجمة آداب الشعوب الإسلامية من العربية وإليها ؛ تأكيداً لوحدة الآلام والآمال ووحدة المصير المشترك ، وتحقيقاً للوحدة الفكرية والروحية قبل الوحدة السياسية .
 - ٣ - ضرورة الدعوة إلى نشر اللغة العربية وآدابها بين شعوب الأمة الإسلامية ؛ لتعود لغة القرآن اللغة الأولى للمسلمين كما كانت من قبل ، ولتكون عاملاً مهماً في توحيد هذه الشعوب .
 - ٤ - دعم رابطة الأدب الإسلامي العالمية دعماً معنوياً ومادياً حتى تستطيع أداء مهمتها في مسيرة الأدب الإسلامي وتحقيق عالميته .
- ولعل من المناسب أن نذكر هنا قرار مجلس أمناء الرابطة حول إنشاء وقف إسلامي باسم الرابطة يتفق من ريعه على متطلباتها المادية ، التي تتنامى بانتشار مراكز الرابطة وفروعها في أنحاء العالم الإسلامي ، وسوف تزيد المتطلبات المادية زيادة ملحوظة بعد إصدار مجلة الأدب الإسلامي .

- (٢٢) الوحدة الإسلامية (المرجع السابق) ص ٤٢ .
- (٢٣) ديوان الخطيب ١/ ٣١ - القاهرة دار المعارف ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .
- (٢٤) الشعر في موكب الدعوة - د. محمد صادق عبد الحليم محمد ص ٢٢٣ - القاهرة مطبعة النهضة العربية ١٩٧٦ م .
- (٢٥) الأدب التركي الإسلامي - د. محمد عبد اللطيف هريدي - الرياض - نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- (٢٦) الشعر في موكب الدعوة ص ٢٢٤ .
- (٢٧) الأدب التركي الإسلامي ص ٢٢٢ بتصرف .
- (٢٨) الأدب التركي الإسلامي ص ٢٢٢ .
- (٢٩) مع إقبال شاعر الوحدة الإسلامية - عبد اللطيف الجوهري - ص ٦٩ - القاهرة - مكتبة النور ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٣٠) روائع إقبال، «المصدر السابق» ص ١٨ .
- (٣١) الوحدة الإسلامية ص ١٤٠ - د. عبد العزيز ثنيان العمران - الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٣٢) شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ص ١٨٠ .
- (٣٣) صحيفة الشورى، ١٣ آب (أغسطس) ١٩٣٠ م .
- (٣٤) الاتجاهات الوطنية ٢/ ٤٢ .
- (٣٥) الاتجاهات الوطنية ٢/ ٤٣ .
- (٣٦) المصدر السابق .
- (٣٧) ديوان شوقي ١/ ٣٢٨ .
- (٣٨) الوحدة الإسلامية «المصدر السابق» ص ١٤٥ .
- (٣٩) سورة الملك فيصل والتضامن الإسلامي ص ١٧١ - الرياض - مطبعة مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .
- (٤٠) سورة الأنبياء ٢١/ ٩٢ .
- (٤١) ديوانه المخطوط (عن كتاب الوحدة الإسلامية ص ١٠٧) .
- (٤٢) ديوان محرم المخطوط (عن كتاب الوحدة الإسلامية ص ١٩٢) .
- (٤٣) ديوان حافظ ٣٨٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .
- (٤٤) ديوان الرصافي ٢/ ٣٤١ بيروت دار العودة ١٩٨٣ م .
- (٤٥) نماذج أدبية - د. عبد القدوس أبو صالح - (بالاشتراك) ص ٢٤ مكتبة الجامعة العربية - حلب .
- (٤٦) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية - د. محمد عادل الهاشمي ص ١٥٥ عمان مكتبة المنار ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٤٧) المرجع السابق ص ١٥٦ .
- (٤٨) ديوان الزركلي ص ١١٧ بيروت مؤسسة الرسالة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- (٤٩) ديوان شوقي ١/ ٣٦٧ .
- (٥٠) من شعر الجهاد في العصر الحديث - د. عبد القدوس أبو صالح (بالاشتراك) ص ١١٧ - الرياض منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- (٥١) المصدر السابق ص ١٣٤ .
- (٥٢) المصدر السابق ص ١٦٥ .
- (٥٣) المصدر السابق ص ٣٢٥ .
- (٥٤) من الشعر الإسلامي الحديث ص ١٣٠ - عمان - دار البشير - منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- (٥٥) ديوانه : شموخ في زمن الانكسار ص ١٥ - الرياض - منشورات مكتبة الأديب ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- (٥٦) من الشعر الإسلامي الحديث ص ٦٢ .
- (٥٧) المرجع السابق ص ٢٣٢ .
- (٥٨) المرجع السابق ص ٢١٣ .
- (٥٩) من شعر الجهاد ص ٥١٦ .
- (٦٠) ديوان محرم المخطوط (عن كتاب الاتجاهات الوطنية ٢/ ١٨٩) .
- (٦١) أناشيد الدعوة الإسلامية - حسني جرار (بالاشتراك) ص ٩٧ - عمان - نشر دار عمار ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- (٦٢) من شعر الجهاد (المصدر السابق) ص ٣٥٠ .
- (٦٣) من ديوانه المخطوط .
- (٦٤) شاعر الإسلام محمد عاكف - د. عبد السلام فهمي - مكة المكرمة - نشر مكتبة الطلاب الجامعي ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- (٦٥) المجلة العربية - العدد الافتتاحي - شعبان ١٣٩٥ هـ - ص ١١٠ .
- (٦٦) المصدر السابق .
- (٦٧) المصدر السابق .
- (٦٨) روائع إقبال لأبي الحسن الندوي - ١١٨ - بيروت دار الفتح ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- (٦٩) الأدب التركي الإسلامي ص ٢٢٣ وما بعدها بتصرف .
- (٧٠) الاتجاهات الوطنية ٢/ ١٦٨ .
- (٧١) من ديوان محرم المخطوط (عن كتاب الوحدة الإسلامية ص ١٩١) .
- (٧٢) ديوان الرصافي ٢/ ٤٦٣ .
- (٧٣) ديوان الزركلي ص ٣٢٧ .
- (٧٤) ديوانه : صرخة في واد ص ٧٨ .
- (٧٥) ديوان شوقي ١/ ٣٤٨ .
- (٧٦) المصدر السابق ١/ ٥٨٩ .
- (٧٧) ديوان حافظ إبراهيم ٢٦٨ .
- (٧٨) من شعر الجهاد ص ٢٢١ .
- (٧٩) من شعر الجهاد ص ٣١٠ .
- (٨٠) من شعر الجهاد ص ٣١٣ .
- (٨١) الأدب التركي الإسلامي ص ٢٣٧ بتصرف .
- (٨٢) المصدر السابق .
- (٨٣) شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ص ٧١ .
- (٨٤) مصطفى صادق الرافعي والاتجاهات الإسلامية في أدبه - د. علي عبد الحليم محمود - الرياض - نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (بلا تاريخ) .
- (٨٥) ديوان الرصافي ٢/ ٤٣٧ .
- (٨٦) ديوان : صرخة في واد - ص ٧٨ .
- (٨٧) نماذج أدبية ص ٢٧ .
- (٨٨) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية ص ١٧٨ .
- (٨٩) ديوانه ١/ ٢٦٤ .
- (٩٠) الوحدة الإسلامية في الشعر العربي الحديث ص ١٩٢ .
- (٩١) أحمد الغزالي وأثره الأدبية ٢/ ٦٠٥ للدكتور مسعد العطوي - بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٩٢) ديوان ألوان طيف للأثيري ص ٩٢ .
- (٩٣) المصدر السابق ص ٣٧٦ .
- (٩٤) من ديوان علي درب الجهاد ص ١٧٩ الرياض مطبعة الفرزدق ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- (٩٥) مجلة الهلال - عدد ديسمبر ص ٣٨ عام ١٩٧٠ .
- (٩٦) أناشيد الدعوة ص ٩٧ .
- (٩٧) نفس المصدر ص ٢٨ .
- (٩٨) الأدب الإسلامي التركي ص ٢٦٣ .
- (٩٩) المصدر السابق ص ٢٩٩ .
- (١٠٠) مذكرات السلطان عبد الحميد - جمع وتقديم محمد حرب عبد الحميد - القاهرة - دار الأنصار ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .
- (١٠١) المأساة الأخيرة في العالم العربي لأبي الحسن الندوي ص ١٨ - لكنو ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- (١٠٢) أناشيد الدعوة ص ١٧ .

- (٢٢) الوحدة الإسلامية (المرجع السابق) ص ٤٢ .
- (٢٣) ديوان الخطيب ١/ ٣١ - القاهرة دار المعارف ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .
- (٢٤) الشعر في موكب الدعوة - د. محمد صادق عبد الحليم محمد ص ٢٢٣ - القاهرة مطبعة النهضة العربية ١٩٧٦ م .
- (٢٥) الأدب التركي الإسلامي - د. محمد عبد اللطيف هريدي - الرياض - نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- (٢٦) الشعر في موكب الدعوة ص ٢٢٤ .
- (٢٧) الأدب التركي الإسلامي ص ٢٢٢ بتصرف .
- (٢٨) الأدب التركي الإسلامي ص ٢٢٢ .
- (٢٩) مع إقبال شاعر الوحدة الإسلامية - عبد اللطيف الجوهري - ص ٦٩ - القاهرة - مكتبة النور ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٣٠) روائع إقبال، «المصدر السابق» ص ١٨ .
- (٣١) الوحدة الإسلامية ص ١٤٠ - د. عبد العزيز ثنيان العمران - الرياض ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- (٣٢) شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ص ١٨٠ .
- (٣٣) صحيفة الشورى، ١٣ آب (أغسطس) ١٩٣٠ م .
- (٣٤) الاتجاهات الوطنية ٢/ ٤٢ .
- (٣٥) الاتجاهات الوطنية ٢/ ٤٣ .
- (٣٦) المصدر السابق .
- (٣٧) ديوان شوقي ١/ ٣٢٨ .
- (٣٨) الوحدة الإسلامية «المصدر السابق» ص ١٤٥ .
- (٣٩) سورة الملك فيصل والتضامن الإسلامي ص ١٧١ - الرياض - مطبعة مركز فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤١٠ هـ / ١٩٨٩ م .
- (٤٠) سورة الأنبياء ٢١/ ٩٢ .
- (٤١) ديوانه المخطوط (عن كتاب الوحدة الإسلامية ص ١٠٧) .
- (٤٢) ديوان محرم المخطوط (عن كتاب الوحدة الإسلامية ص ١٩٢) .
- (٤٣) ديوان حافظ ٣٨٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .
- (٤٤) ديوان الرصافي ٢/ ٣٤١ بيروت دار العودة ١٩٨٣ م .
- (٤٥) نماذج أدبية - د. عبد القدوس أبو صالح - (بالاشتراك) ص ٢٤ مكتبة الجامعة العربية - حلب .
- (٤٦) أثر الإسلام في الشعر الحديث في سورية - د. محمد عادل الهاشمي ص ١٥٥ عمان مكتبة المنار ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- (٤٧) المرجع السابق ص ١٥٦ .
- (٤٨) ديوان الزركلي ص ١١٧ بيروت مؤسسة الرسالة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- (٤٩) ديوان شوقي ١/ ٣٦٧ .
- (٥٠) من شعر الجهاد في العصر الحديث - د. عبد القدوس أبو صالح (بالاشتراك) ص ١١٧ - الرياض منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- (٥١) المصدر السابق ص ١٣٤ .
- (٥٢) المصدر السابق ص ١٦٥ .
- (٥٣) المصدر السابق ص ٣٢٥ .
- (٥٤) من الشعر الإسلامي الحديث ص ١٣٠ - عمان - دار البشير - منشورات رابطة الأدب الإسلامي العالمية ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- (٥٥) ديوانه : شموخ في زمن الانكسار ص ١٥ - الرياض - منشورات مكتبة الأديب ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- (٥٦) من الشعر الإسلامي الحديث ص ٦٢ .
- (٥٧) المرجع السابق ص ٢٣٢ .
- (٥٨) المرجع السابق ص ٢١٣ .
- (٥٩) من شعر الجهاد ص ٥١٦ .
- (٦٠) ديوان محرم المخطوط (عن كتاب الاتجاهات الوطنية ٢/ ١٨٩) .